

لوجودك في بورنيو باستمرار. كيف حال الأمواج؟». ثم أغلقتُ هاتفي المحمول بسرعة.

كتبتُ على جوجل: «هل يمكن أن تتسبب كتابة رواية في موتك؟»، فلم أعر على شيء مفيد. أسرعْتُ إلى مكتب محاميّ الشبيه بالهيبز - كانت لديه أذن مثقوبة، ولحية صغيرة، ويعيش في ولزلي، نفس الحي الذي تعيش فيه جولي - وفشلتُ في الخروج من السيارة من جانب السائق، فأطلقتُ سبَابًا وانزلتُ خارجة من الجانب الآخر، ثم هرعتُ إلى المكتب قائلة إن لديّ أربع دقائق لتوقيع الأوراق، وأنه لا يوجد شيء في العالم سيسعدني أكثر من كتابة اسمي الغبي على ثلاث نسخٍ من هذه الوثيقة تحديدًا. أخرجتُ بطاقة ائتماني، وقلتُ:

- لندفع التكاليف الآن، ونجعل هذا الاتفاق رسميًا، أعتقد أن هذا هو ثمن الحرية!

ضحكتُ سكرتيرة المحامي، لكن كان بوسعي أن أدرك أنها تشفق عليّ؛ كنت أفقد عقلي. هرعتُ عائدة إلى السيارة، وفشلتُ في فتح باب السائق مرة أخرى. طرقتُ على النافذة، وأطلقتُ سبَابًا خافتًا في مهب الريح التي أخذت تتحوّل إلى شيء آخر، يختلف عن النسيم اللطيف. ربما كانت أشبه برياح الميسترال الشمالية الباردة، التي يمكن أن تدفعك إلى الجنون، بحيث يمكن تبرئتك في فرنسا إذا قتلت شخصًا ما في أثناء هبوبها. درتُ بسرعة حول السيارة، وانزلتُ عبر جانب الراكب، ثم أسرعْتُ إلى جيسون الميكانيكي، صديقي منذ الليلة الماضية. دخلتُ المرآب مباشرة بالسيارة، وأوقفتها، ثم نسيت مرة أخرى أمر ذلك الباب الذي لا يفتح أبدًا، وغصت في مقعدي وقد انهزمت.

خرج جيسون من تحت غطاء محرك سيارة رياضية متعددة الأغراض،
وفتح لي باب الراكب قائلاً:

- تعالي هنا.

انزلتُ خارجة برأسي أولاً كالمولود، فعانقني، وأخبرته بشأن
باب السائق، وأن عليّ أن أكون في المطار في غضون اثنتي عشرة دقيقة
لاصطحاب شيللا، ابنة خالتي، وعمي فرانك، اللذين جاءا ليكونا برفقة
خالتي، أي والدتها، وزوجته، التي اضطرت إلى إجراء جراحة مفاجئة
في القلب، وأنني حصلت على الطلاق رسمياً للتوّ. ربت جيسون على
ظهري، وقال لي إن الطلاق يُعد أحد أكبر ضغوطات الحياة - إلى جانب
وفاة أحد أفراد الأسرة - لأنه يشبه الموت، ولا مانع لديه إذا بكيت. أعارني
سيارة بديلة لاصطحاب أقاربي، وقال إنه سيصلح الباب لاحقاً عصر ذلك
اليوم، من دون مقابل، ولا داعي للقلق.

كنتُ قد نسيت أمر جولي. أسرعْتُ إلى بار «ليجون» في شارع
نوتردام. تعالت موسيقى بشعة من راديو السيارة المستعارة، لكنني لم
أستطع اكتشاف كيفية إطفائها. كانت جالسة على الرصيف في انتظاري،
وهي مخمورة وتحمل مجموعة من شرائح اللحم المجمدة. ركبْتُ
السيارة، فأخبرتها أنني حصلتُ على الطلاق، قالت:

- أعرف ذلك.

- لا، لكنني وقَّعت الأوراق الآن، وبات الأمر محسوماً.

قالت:

- مبارك.

ثم حاولت إطفاء الراديو.

- كيف يبدو ذلك الشعور؟

سألتها:

- كوني مطلقة رسميًا؟

قالت:

- مطلقة رسميًا، هاتان كلمتان فظيعتان، لا ينبغي لهما حتى أن تكونا

كلمتين.

- حلمتُ بالأمس أنني سمعتُ رجلًا يخبرني أن الكلب المنقوش

على الصخر، مثل نقوش ما قبل التاريخ، يعني الحب الأبدي.

قالت:

- لقد سمعتُ ذلك أنا أيضًا. كيف حال ألف؟

قلت:

- كما هي.

قالت جولي:

- هل ما زلت تفكرين في قتلها؟

- هذا ليس قتلاً، بل مساعدة.

قالت جولي:

- أعرف ذلك، لكن هل ستفعلين؟

قلت:

- لا تخبري أحداً، لم تذكر ألف الأمر لنيك ولا لوالدتي. إنها تريدني

فقط أن أصطحبها إلى سويسرا، نحن الاثنين.

قالت جولي:

- يا إلهي، هل ستفعلين؟ ما هذا، ما خطب عينيك؟

أخبرتها أن عليّ تعقب أستاذي السابق في الفلسفة، بينيتو زيتينا موريلوس.

قالت:

- يبدو هذا كأنه من إحدى روايات بولانيو. هل لديك عنوان بريده الإلكتروني، أو رقم هاتفه؟

تناولت يدي، وأمسكتها. هزئت رأسي، وأخبرتها أن عليّ التوجه إلى مدرسة كيلفين الثانوية، وربما أجده في مضمار المشي هناك. قالت:

- عليك البياض في منزلي الليلة، ودعيني أعد لك شريحة من اللحم. لديّ نبيذ. أعتقد أنك حقًا بحاجة إلى البروتين.

قلت:

- لا أستطيع، عليّ توصيل والدتي وابنة خالتي وعمي إلى المستشفى في السادسة صباحًا، هذا موعد جراحة خالتي، وجميعهم سيقيمون في شقة والدتي.

قالت:

- حسنًا، مساء غد إذن. لا أعتقد أن عليك المضي قدمًا في موضوع سويسرا ذاك.

قلت:

- لا أدري.

قالت:

- ليس من الضروري أن يكون شيء ما صحيحًا، لمجرد كونه قانونيًا.

قلت:

- أجل، أجل، لكن جوهر الحجة التي في صالح ذلك الموضوع هي زيادة الاستقلالية الفردية، وتقليل المعاناة البشرية، ألا يبدو ذلك صحيحًا؟

قالت:

- هل أنت محمومة؟

أمسكت بشريحة لحم مجمد إلى جبهتي.

توجهنا إلى المطار، وبقيت جولي في السيارة أمام المطار وغفت وبين ذراعيها كومة من اللحم، بينما ذهبتُ كي أجلب ابنة خالتي وعمي. تعانقنا في المطار عناقًا جماعيًا، لكن لم يبق في جعبتنا شيئًا سوى الدعاء. لقد مررنا بكل هذا من قبل. كنّا نحب بعضنا، ونقاتل من أجل بعضنا، عندما ينهار العالم، نُدفن تحت الأنقاض معًا، وعندما يتم إخراجنا من تحت الأنقاض وإنقاذنا، نحتفل جميعًا معًا. لم يكن هناك الكثير مما يمكن قوله عن ألف وتينا. كنّا ستوجه إلى المستشفى مباشرة. تحدثنا جميعًا في نفس الوقت في السيارة. تحدثت شيلا عن الجبال والتطعيمات، لأنها كانت متسلقة جبال وممرضة صحة عامة، وتحدث عمي فرانك عن الفجوة التي بحجم عملة معدنية من فئة دولارين كنديين في ساقه، وعن حجرات الضغط العالي، لأنه كان مصابًا بمرض السكري، بينما تحدثتُ جولي عن كيف فازت باللحم الذي بحوزتها، وتحدثتُ أنا عن راليات السيارات في المغرب. كانت لديّ خطة للانضمام إلى رالي مخصص للنساء فقط. كنّا سنقود السيارات من دكار إلى مكان آخر، وننام في

الصحراء مع الجمال والمرشدين البدو. قد يستغرق الأمر شهرين، وستكون جولي رفيقتي، لكنني لم أكن قد أخبرتها بذلك بعد. قالت:

- ماذا؟ ننام مع المرشدين البدو؟

قلت إنها ستكون مسؤولة عن الملاحه، بينما أتولى أنا القيادة. سنأخذ دورة في الميكانيكا عند جيسون قبل ذهابنا، وسيكون الراعي الرسمي لنا هو هيئة البريد الكندي، كانت هذه هي خطتي. قال عمي إنه بالنظر إلى الطريقة التي أقود بها الآن، فلديّ على الأرجح فرصة ممتازة في الفوز بالسباق، وإنه لن يستغرق مني شهرين.

أوصلتهما إلى المستشفى، وأخبرتهما أن والدتي في جناح الأمراض النفسية مع ألف، وأن تينا تنتظرهما في قسم أمراض القلب. كنت سأتصل بوالدتي على هاتفها المحمول في غضون ساعتين، ثم أعود لأصطحب الجميع مرة أخرى كي نذهب إلى مكانٍ ما لتناول العشاء.

قال عمي فرانك: «حسنًا إذن»، وسار يعرج في طريقه لرؤية زوجته، بينما فعلتُ شيلا مثلما فعلتُ والدتها، وعانقتني بشدة وهي تخبرني أننا سنجتاز كلَّ هذا، وأنا سنقاتل حتى نتجاوزه. لديّ ست وخمسون من أبناء وبنات الخوولة من الدرجة الأولى، معظمهم من الذكور، ناهيك عن جميع الأزواج والزوجات والأطفال المختلفين، لكن شيلا هي أقوى الجميع. يمكنها أن تقطع ذراعك بكل سهولة إذا علقّت في فخ في البرية، وكانت هذه هي وسيلتك الوحيدة للخلاص. سقطتُ من على جبل ذات مرة، وظلّت ملقاة هناك طوال يوم وليلة بأكملهما، وقد تهشّمت ساقها اليسرى، حتى تمكّنت مروحية الإنقاذ من العثور على طريقة لإسقاط السلم في الشق الصغير الذي سقطتُ داخله. أخبرتُ الطيار أنها قاومت فقدان

الوعي عن طريق ترتيب الأسماء الأولى لكل أبناء وبنات خوؤلتهما أبجدياً، ومراجعة كل واحد منهم في ذهنها، ووصفه لجمهورٍ خيالي. قالت لي إنها أدرجتني تحت حرف الدال، نسبة لاسم «دوارة». تُعد أسرة شيلا وأسرتي جزءاً من فريق بنات الخوؤلة الفقراء. لدينا أبناء خوؤلة أثرياء، فاحشو الثراء، لأنهم أبناء الأبناء (أخوانا، الذين توفوا جميعاً)، الذين ورثوا التجارة العائلية المربحة عن جدنا، والد كل من تينا والدتي. هكذا كانت تسير الأمور في عالم الطائفة المينوناتية. يرث الأبناء الثروة، ثم يورثونها لأبنائهم، ولأبناء أبنائهم، بينما لا تنال الفتيات أي شيء على الإطلاق. لم نكن نحن بنات الخوؤلة الفقراء نكثرث لذلك على الإطلاق، إلا عندما نكون في حاجة لتلقي إعانات من الحكومة، أو نعاني من الإفلاس، أو نتصور جوعاً، أو غير قادرات على شراء ملابس رائعة لأطفالنا، أو دفع مصاريف دراستهم الجامعية، أو شراء منزل رابع ضخم على جزيرة خاصة بها مهبط لطائرات الهليكوبتر. لكن مهما يكن، قد لا نمتلك نحن سليلات الأسرة من الإناث ما يكفي من الثروة، وقد لا يكون لدينا نوافذ محكمة في منازلنا التي هي عرضة للتيارات الهوائية، لكننا على الأقل نمتلك طاقة من الغضب، وسنبني بها إمبراطوريات، أيها السادة.

رافقتني جولي إلى مضمار المشي في مدرسة كيلفين الثانوية، لكننا لم نَرَ بينيتو زيتينا موريلوس هناك، بل مجرد بعض الطلاب الجالسين على المضمار وهم يدخلون الماريجوانا ويتظاهرون باللامبالاة. سألتُ جولي:

- متى يتعين عليك الذهاب لاصطحاب أطفالك؟

قالت:

- لستُ مضطرة إلى ذلك؛ إنهما مع مايك اليوم، لذا سمحت لنفسني

بالاستمتاع بأبسط الملذات في بار «ليجون» اليوم.

قلت لها:

- دعينا نذهب إلى تل القمامة.

كان تل القمامة مكبًا للنفايات، حتى زرعه بالعشب، وصار الآن مكانًا يمكنك قضاء الوقت عنده صيفًا، والتزحلق عليه شتاء، على الرغم من وجود لافتاتٍ عملاقة مكتوب عليها «ممنوع التزحلق!». أُطلق على المكان اسمًا جميلًا، لم يستطع أحد تذكره، وتعرّضت اللافتة للتلف بعد أن كُتِب فوقها. أُطلق الجميع على المكان اسم تل القمامة، بما فيهم المحافظ الذي لم يكن محافظًا أكثر من كونه بائعًا في مزاد، يبيع المدينة بالتجزئة لمن يدفع أعلى سعر. إنه ليس بالغ الارتفاع، ولا يُعد تلاً بالفعل، لكنه يمثل أعلى نقطة في وينيبيج، واعتقدتُ أن عليّ الاقتراب من الرب بقدر الإمكان، على الرغم من أنني لم أكن متأكدة من السبب وراء ذلك، إما كي أصلي له طلبًا للرحمة، وإما لكي أعلن ثورتي عليه، أو كي أقدم له الشكر. هذه النصيحة الأخيرة قدّمتها إليّ خالتي تينا عندما توفي والدي. قالت لي إنه حتى لو لم يكن المرء يؤمن بصدق بوجود الرب، فمن الجيد أن يغلق عينيه ويفكر في قائمة ذهنية بكل الأشياء التي يشعر بالامتنان لها. تربّعنا أنا وجولي على قمة التل، فوق العشب البني الشائك، وتبادلنا الذكريات حول جلسة تصوير أجرتها هنا منذ أربعمئة عام، حينما كنّا طالبتين مظفرتين في المدرسة الثانوية.

سألني:

- هل تشعرين بالتعب؟

قلت لها:

- أنا منشغلة بترتيب قائمة في ذهني.

- قائمة بماذا؟

- بالأشياء التي أشعر بالامتنان لها.

- هل أنا على القائمة؟

قلت:

- بالتأكيد أنتِ على القائمة!

أغمضتُ عينيها، وشرعت تضع قائمتها الخاصة.

سألتني:

- هل يمكن أن يكون شيئاً بسيطاً، مثل اكتشاف أن الخبز الذي لديك

ليس متعفنًا، بالتالي سيكون لديكِ خبزٌ للأولاد على الإفطار؟

كانت عيناى لا تزالان مغمضتين. قلت:

- أجل. أنا أشكر الرب الآن على البيرة.

قالت:

- أوه، هذه فكرة جيدة، وأيضًا أصابع الإبهام التي تمكنا من التقاط

الأشياء.

سألتها:

- هل ما زلتِ مخمورة؟

قالت:

- لا.

- إذن، لقد بحثُ في جوجل، وسوف يكلفني الأمر...

- ما الذي بحثَ عنه في جوجل؟

- العيادة السويسرية، في زيورخ.

- أوه! حسنًا.

- لقد بحثُ في جوجل، وسيتكلف الأمر خمسة آلاف ومائتين وثلاثة

وستين دولارًا وستة عشر سنتًا للعلاج، علاوة على تسعة آلاف ومائتين

وعشرة دولارات أخرى وثلاثة وخمسين سنتًا للتكاليف ذات الصلة.

قالت:

- ما هي التكاليف ذات الصلة؟

- التكاليف الطبية، والمصاريف الرسمية، والجنائز.

- لكنك لن تقيمي الجنائز هناك، أليس كذلك؟

- بلى، هذا صحيح، سأعيد جثتها.

سألتني:

- لكن بعد حرقها؟

- أجل، بالتأكيد. لذا هناك تكلفة لذلك أيضًا، على ما أعتقد.

سألتني:

- كم يتكلف ذلك؟

- ليست لدي أدنى فكرة.

قالت:

- ما زلت أعتقد أنه يجب ألا تقدمي على هذا، أعتقد أن ذلك

للأشخاص الذين يحتضرون على أي حال.

قلت:

- لا، إنه للأشخاص الذين يعانون من أمراض عقلية أيضًا. يُطلق على الأمر «السأم من الحياة»، ولهم نفس الحقوق التي لأي شخص آخر يرغب في الموت، وفقًا للقانون السويسري. يمكنك القول بأنها تحتضر، كما أنها ستمت الحياة، بكل تأكيد.

تأملنا المدينة، والسماء، وتأملت إحدانا الأخرى. ابتسمت جولي، ونطقت باسمي، فنطقت أنا باسمها. قالت:

- لا أدري.

قلت:

- لا أريدها أن تموت، لكنها تتوسل إليّ. إنها تتوسل إليّ حرفيًا، ماذا أفعل؟

هزت جولي رأسها، وقالت إنها لا تعرف، ثم اقترحت أن أنتظر قليلًا، لمعرفة ما إذا كان العلاج أو الدواء سينجح معها هذه المرة، عليّ الانتظار فحسب. وافقتها قائلة:

- يمكنني ذلك، لكنني أخشى أن يتركوها تخرج، وستكون هذه هي نهاية الأمر، وسترحل.

قالت جولي:

- لكن موضوع زيورخ هذا برمته يبدو غير مرجح.

قلت:

- أعرف، لكنه ليس مستحيلًا، بل هو ممكن، وبوسعي القيام بذلك من أجلها. يجب أن أفعل ذلك من أجلها.

قالت جولي:

- حسنًا، ليس بالضرورة، انتظري قليلاً فحسب، وانظري ما سيحدث.
- واحد وعشرون بالمائة من المرضى في العيادة السويسرية ليسوا من المرضى الميؤوس من شفائهم، لكنهم سئموا الحياة.

قالت:

- هل تعتقدين أنك ستتمكنين من العيش بضميرٍ مستريحٍ إذا أقدمتِ على ذلك؟
- قلتُ:

- أو إذا لم أقدم على ذلك؟

قالت:

- في كلتا الحالتين.

تعيّن عليّ العودة إلى المستشفى لاصطحاب باقي أفراد الأسرة والبحث عن مكانٍ للأكل، لأننا في النهاية كنّا بحاجة إلى تناول الطعام. مرة أخرى، بدا الأكل في مثل هذا الوقت محرّجًا للغاية ومثيرًا للسخرية. كما كانت جولي ذاهبة للقاء معالجها الذي يتبع مدرسة يونج في التحليل النفسي. قلت:

- لا تخبريه بشأن هذه المحادثة.

قالت جولي:

- لا تقلقي، كل شيء سري.

قلت:

- لا، حقًا، يمكنهم إبلاغ الشرطة ببعض الأشياء، إذا اعتقدوا أن ثمة احتمالًا لوقوع جريمة أو ما شابه.

عانقتني ووعدتني ألا تخبر أحداً بشأن محادثتنا، بما في ذلك معالجها.
قالت:

- إنكِ ترتجفين، أشعر بقلبك ينتفض داخل قفصكِ الصدري.
سمعنا أصواتاً آتية من بعيد، كانت هناك امرأة تقول: «حسنًا، أتعرف؟
حقًا؟ تبًا لك». ثم رجل يقول: «حسنًا، أتعرفين؟ حقًا؟ تبًا لك». بعدها
قالت المرأة: «هل تعلم كم أنفقتُ من المال؟»، فردد الرجل: «هل تعلمين
كم أنفقتُ من المال؟». قالت جولي:

- مدهش، سيرغب المرء حقًا في وجود ذلك الرجل بفريقه خلال
النقاشات، يا لها من ردودٍ رائعة، يا رجل.
حينها مرَّ صحن فريسي طائرٌ فوق رأسينا، وتفادى جولي بمقدار
شعرة.

قالت:

- يا إلهي، هل تدركين أن كلمة «رجل» كانت ستصبح الكلمة
الأخيرة التي أنطقها في هذا العالم؟ هل تعطيني أنك ستخبرين الناس أنها
كانت كلمة مختلفة، لأجل خاطري؟

قلت:

- سأفعل، يمكنك الاعتماد عليّ. ما الكلمة التي تريدونها؟

قالت:

- أوه، لا أدري. شيئًا ما مثل «بسرعة»، أو ما شابه.

- أنقصدين كما هو الحال في «ها أنت تراني، والآن لم تعد تراني»؟

قالت:

- أجل.

قلت:

- حسنًا، سأخبر طفليك ووالديك والجميع أن الكلمة الأخيرة التي تفوهت بها هي «بسرعة».

- شكرًا لك.

تناولنا العشاء في مقهى صغير بشارع بروفينشييه، بالقرب من المستشفى، ثم عدنا جميعًا إلى شقة والدتي، ولعبنا ببطاقات اللعب، لعبة «داتش بليتز» المصرّح بها لأفراد الطائفة المينوناتية، وأخذنا نصرخ قائلين «بليتز» كلما فُزنا. أطلق كلٌّ من والدتي وعمي فرانك كلمات السباب بلغة البلاوتديتش، وصاح الجميع وصرخوا، وتطايرت أوراق اللعب. اضطرت والدتي إلى التوقف كي تلتقط أنفاسها، وتستخدم بخاخة النيتروجلسرين، واضطر عمي إلى أخذ حقنة أنسولين. بعد ذلك، وجدتُ ما يكفي من الملاءات والبطانيات النظيفة لتجهيز فراشين لشילה وعمي، في حين سأنام أنا على مرتبة هوائية. تمنيتُ للجميع ليلة سعيدة، على أن نتجمع مرة أخرى في الخامسة صباحًا. قبل أن تنام، جلسنا أنا وشילה على فراشها، وتحدثنا عن شقيقتينا، ليني وألف، وحزنهما المبهم، وعن الدتينا، لوتي وتينا، وتفاؤلهم الدائم. سألتها:

- ما الذي يمسك ساقك ببعضها الآن؟

قالت:

- المسامير والبراغي وأجزاء من الخردة المعدنية وأسلاك الربط. أظهرتُ لي الندوب الممتدة صعودًا وهبوطًا، بطول ساقها التي

تهشمت. أخرجت علبة من الشوكولاتة، وتناولت كلُّ واحدة منَّا قطعتين.
قلتُ لها:

- أنا على يقينٍ من أن والدتك ستكون بخير؛ إنها تتمتع بالصلاية
بدرجة لا تصدق.

قالت شيلا:

- هذا صحيحٌ. إنها إيجي بوب السيدات العجائز بالطائفة المينوناتية.
تناولت كلُّ منَّا قطعتين إضافيتين من الشوكولاتة، ثم أسرعْتُ عائدةً إلى
المستشفى لرؤية ألف.

ركبتُ دراجة والدي القديمة، التي كانت تحتفظ بها والدتي في وحدة
التخزين الخاصة بها في البدروم، وأسرعْتُ عبر المسار الذي يمر بجوار
النهر الصاخب. لم أهتم حتى بتثبيتها بقفلٍ عند المستشفى، بل ألقيتها
فحسب على العشب المجاور للباب الأمامي بجناح بالافيري، كما لو
كنتُ طفلة من جديد، وتأخرتُ على موعد بداية برنامج «عالم ديزني
الرائع». قالت الممرضة عند المكتب إن الوقت تأخر، لكنني أخبرتها
أن لديَّ أخبارًا مهمة للغاية لا تحتمل الانتظار. بدا من الواضح أنها لا
تصدقني، لكنها قالت لي أن أدخل على أي حال، إذ لم يكن هناك طاقم
عمل إضافي ليدعمها في الجدل، وكانت مستغرقة في الفصول الأخيرة
من رواية «شفرة دافنشي».

كانت ألف نائمة على جنبها، ووجهها إلى الحائط. رفعتُ البطانية،
وتسللتُ إلى جوارها. واجهني ظهرها، لكن يدها كانت مستلقية على
كتفها، كما لو أنها تعانق نفسها وهي تغفو، فلمستُ يدها. ضغطتُ عليها

بفرقٍ، وأمسكتُها. فكرتُ كم هو من الغريب أن تتمكّن هذه القطعة الرخوة النحيلة من العضلات على إنتاج مثل هذه الموسيقى القوية. ضبطتُ أنفاسي لتتزامن مع أنفاسها ببطءٍ وثباتٍ. أغمضتُ عيني، ونمتُ معها فترة من الوقت، أعتقد أنها كانت ساعة أو ساعتين، أو ربما كانت عشرين دقيقة فحسب.

كثيرًا ما كانت أَلَف تتحدث وتمشي في أثناء نومها حينما كانت طفلة، واضطر والدائي إلى نصب أفخاخٍ بجوار الأبواب كي لا تغادر المنزل. دندنتُ أغنية عن البط الذي يسبح في البحر، كانت أغنية قصيرة، علّمتها هي لي عندما كنت طفلة: أغنية عن الشجاعة، وعن كونك غريب الأطوار. لم تستيقظ، أو لا أظن أنها استيقظت. لم أرغب في الرحيل، لكنني كنت أعرف أنه يتعيّن عليّ ذلك. عندما خرجتُ، طلبتُ مني الممرضة احترام ساعات الزيارة في المستقبل، فقلتُ لها إنني سأفعل، سأحترم كل شيء في المستقبل. كانت دراجة والدي لا تزال موجودة، رطبة وسط العشب الندي. رفعتها، وبدأت أخف مما كانت. تفحصتها للتأكد من أنها نفس الدراجة، دراجة حمراء باهتة ذات ثلاث سرعات، فوجدتها نفس الدراجة بالفعل. كيف يمكن أن تكون هناك دراجتان؟ لم يكن موكبًا. قفزتُ فوقها وركبتها وسط عتمة ما تبقى من ليلٍ.

كان الجميع نيامًا في شقة والدتي، ينتظرون الغد خلال أحلامهم. استلقيتُ فوق مرتبة هوائية على أرضية غرفة المعيشة. كانت هناك مكتبة زرقاء صغيرة بجواري، وعلى إحدى الأرفف مجموعة إلزامية من كتب

«روندا» خاصتي (جميعها مدونٌ بها إهداء مع محبتي وامتناني). بدت الكتب صلبة، وتشبه كتب الأدب الكندي على نحوٍ غريبٍ، بكعوبها المميزة. انحشر بجانبها عددٌ كبيرٌ من روايات الجريمة التي بدا عليها أنها مقروءة ومحبوبة بدرجة أكبر. كان بعض تلك الروايات الأكبر حجمًا مقطوعًا إلى جزئين، أو حتى إلى ثلاثة أجزاء، مربوطة معًا بشريطٍ مطاطي، لأن والدتي لم تكن ترغب في حمل كتب ضخمة معها في كل مكان، ولم تكن تذهب إلى أي مكانٍ من دون كتابٍ، أو جزءٍ من كتابٍ في حقيبتها البنية الكبيرة. إلى جانب روايات الجريمة تلك، كانت هناك بعض الكتب من تأليف أشخاص آخرين تعرفهم، سواء أبناء وبنات أصدقائها، أو أشخاص من كنيستها، وكتب من الكلاسيكيات القديمة، وديوان شعر من تأليف كولريدج، صديق ألف القديم. تناولته من على الرف، وقرأتُ بعض القصائد، بما في ذلك هذه القصيدة:

في خيالي (أراك جيدًا)

بعد المشاغل البعيدة، والهموم المنزلية،

تسلَّل حول فراش شقيقة عزيزة

بخطى صامتة، وتراقب محياها الباهت،

تهدي كل وخزة ألم بحنانٍ واهتمامٍ

وبأرق نبرات المحبة التي هي بمثابة دواء.

أنا أيضًا، كانت لي شقيقة، شقيقة واحدة

أحبَّتني بشدة، وشغفتُ أنا بها!

أسررتُ لها بكلِّ أحزاني الضئيلة

(كمريض بين ذراعي ممرضته)

ومن قلبي، فاضت تلك العلّات الخفية

التي تنكمش خجلاً حتى من عين الصداقة.

أوه! لقد استيقظتُ عند منتصف الليل، وبكيتُ

لأنها لم تعد مستيقظة!

لقد عثرتُ على قصيدة كولريديج الخاصة بألف، تلك التي استمدّت منها توقيعها: «ك.أ. ض.»، كل أحزاني الضئيلة. استلقيتُ على المرتبة الهوائية، وغفوتُ، لكن ليس تمامًا، لم يكن نومًا عميقًا. وفي منطقة ما بين النوم والحلم الصافي والوعي التام، عنّ لي خاطرٌ، طرأت عليّ فكرة. سأدعو ألف إلى الإقامة معي في تورونتو لبعض الوقت، عندما تخرج من المستشفى. سأكون هناك كي أصطحبها معي لزيارتي. يمكننا المشي، وتبادل الحديث، والراحة، ولن يكون هناك أي ضغط، كما سأكون في المنزل، أعمل نوعًا ما، حتى لا تكون بمفردها. وستكون نورا هناك أيضًا. بعد ذلك، يمكننا أن نبحث موضوع زيورخ هذا باستفاضة، وإذا كانت لا تزال تريد الذهاب، فسيكون من السهل جدًّا السفر من تورونتو بدلًا من وينيبيج. لن يتعيّن على أي شخصٍ آخر أن يعرف، حتى ينتهي الأمر، وبعدها سأفكر في كيفية التعامل مع كل ذلك.

في الصباح، زحفنا جميعًا من أسرّتنا، وتجمّعنا مثل الطيور الصغيرة على طاولة غرفة الطعام، نطعن طعامنا بأدوات المائدة، ونتقافز طلبًا للمربي والملح والقشدة، ويحثُّ بعضنا بعضًا بحماسٍ مصطنع. تكدّسنا داخل السيارة - كان جيسون قد تركها في موقف سيارات الزوار، والمفاتيح

أسفل الدواسة، بعد أن أصبح باب السائق يفتح الآن - وانطلقنا إلى ما صار بمثابة نادينا الجديد: مستشفى سانت أوديل. كان الوقت لا يزال مبكرًا لزيارة ألف، لكننا اجتمعنا جميعًا حول فراش خالتي، وعانقناها وقبّلناها، وأخبرناها أن هذه الجراحة ستكون سريعة، ويسيرة، وأمرها هينٌ. قالت: - أجل، أجل، أعرف كل ذلك، يا إلهي، تكفي هذه الأحاديث الحماسية الكثيبة، فلنبداً العمل!

دلّكتُ شيلًا ذراعيّ وساقيّ تينا بلطفٍ، وأمسكتُ والدتي بيدها، ووعدتها عمي فرانك بأنه سيحضّر لها قهوة من ستاربكس لتكون في انتظارها بعد الجراحة، فقالت لنا:

- اذهبوا وارتاحوا في مكانٍ ما، بحق السماء.

بدأ تأثير المخدر يظهر، فبدت عينا تينا خاليتين من التعبير، وتباطأ حديثُها، كما بدا على ملامحها تعبيرٌ غامضٌ. دفعوها إلى غرفة العمليات، ووقفنا معًا تحت ضوء فلورسنت، ونحن نصلي، أو ربما لم نكن نصلي، من دون أن نتحرك في اتجاه أو آخر.

في وقتٍ ما، عندما كانت تينا لا تزال تخضع للجراحة، وهم يأخذون الأوردة من ساقها ليضعوها في قلبها، وكانت الأخبار الواردة لنا من طبييها هي أن كل شيء يسير على ما يرام، ذهبنا أنا ووالدتي وابنة خالتي شيلًا وعمي فرانك إلى جناح الأمراض النفسية، كي نقول لألف صباح الخير. تمكّنًا من العثور على كرسي متحرك لعمي، لم يرغب في استخدامه، لكننا صممنا، فحاول القيام ببعض الحركات البهلوانية في الردهة. مررنا أمام مكتب التمريض في جناح الأمراض النفسية، مثل خط الدفاع الأخير

لجيشٍ مثيرٍ للشفقة، فقالت إحداهن:

- أوه، ممم، كم عددكم؟

فقالت والدتي:

- هناك واحدٌ من كل منّا.

قالت الممرضة:

- لكن لا يمكنكم جميعًا الدخول في نفس الوقت.

استمررت والدتي في السير، وهي تقول:

- نعرف ذلك.

اصطففنا جميعًا خلف قائدنا الميداني، وسرنا (واندفعنا على عجلات) إلى الأمام، دومًا إلى الأمام.

كانت ألف جالسة على فراشها، منشغلة بالكتابة. أُلقيتُ نظرة على دفتر ملاحظاتها، فرأيتُ كلمة «ألم» مكتوبة خمسين مرة على الأقل، التفتتُ الدفتر قائلة:

- قائمة تسوق؟

ثم قلبته حتى لا يلمحه الآخرون، وتبادلنا رسائل صامتة بنظراتنا. الرب وحده يعلم ما تحدثنا جميعًا عنه بعد ذلك. حكّت لنا شيلا عن أم شابة تعالجها من مرض السل، وقالت:

- كانت صغيرة جدًا عندما أنجبت أطفالها، لدرجة أنها هي الأخرى أصيبت بالجذري المائي عندما أصيبوا به. كانت صغيرة للغاية، حتى إنها في اليوم الذي تزوجت فيه أخيرًا بوالد أطفالها، فقدت أيضًا ضررًا يبلغ من العمر اثني عشر عامًا.

التقطت ألف دفتر ملاحظاتها، ونزعتُ منه صفحة خالية كتبتُ عليها رسالة قصيرة، ثم طوتها وأعطتها لعننا كي يعطيها لتينا بعد الجراحة. أحاطها بذراعها، وقال:

مكتبة

t.me/soramnqraa

- بوركتِ، يا فتاة.

قالت له:

- آسفة لأنك مضطّرٌّ إلى زيارتي هنا.

قال:

- لا، نحن لا نعتذر عن كوننا مرضى، وعن كوننا بشرًا، وعن كوننا مرهقين.

(من الواضح أن عمي فرانك لم يكن امرأة قَطُّ). قالت ألف إنها لا تزال تشعر بالأسف، على الرغم من ذلك. كانت ألف ملحدة في العادة، لكن لم يبدُ في هذه الأيام أنها تمانع استغلال الناس لاسم الرب من أجل نشر المواساة. تحدثنا أنا والدتي وشيلا بصوتٍ أعلى حول أشياء بسيطة لا تذكر، حتى تعتقد ألف وعمي أنهما يتبادلان محادثة خاصة حول الحزن، والاستسلام، والقوة.

تحدثنا لبعض الوقت عن تدريب موسم الربيع لفريق «البلو جايز»، واللاعبين الأساسيين والاحتياطيين، ثم شبَّكنا أيدينا جميعًا، وبدأ عمي جلسة للصلاة. أخذت والدتي تغني «دو» بهدوءٍ مرة أخرى: «أنت، أنت، أنت دومًا في أفكاري. أنت، أنت، أنت تلحقين بي الكثير من الألم. أنت، أنت، أنت لا تعلمين كم أحبك». غنَّتها والدتي وعمي بلغة البلاوتديتش، إذ كانا يحفظان الكلمات عن ظهر قلب. كما كنَّا أنا وشيلا وألف نعرف

بالتأكيد المقطع المتكرر من كلمة «دو»، الذي غنينا به عزم. بعد ذلك غنينا ترنيمة: «الذي تتدفق منه كل البركات». يحب أفراد الطائفة المينوناتية الغناء في مثل هذه المواقف المليئة بالتوتر، إنه أحد الخيارات المتاحة، إذا لم يكن مسموحًا لك بالصراخ، أو بإطلاق العنان لجنونك من خلال إفراغ مخزن مدفع رشاش وسط ساحة مزدحمة. بدأت أبكي، ولم أستطع التوقف مهما حاولت جاهدة. عندما غادر الآخرون غرفة ألف ليعودوا للاطمئنان على تينا، تباطأت، وهمست لشقيقتي:

- حان وقت القتال الآن.

قالت:

- يولاندي، لقد ظللتُ أقاتل طوال ثلاثين عامًا.

سألتها:

- هل ستركبني إذن كي أقاتل وحدي؟

لم تجبني.

أمسكتُ يدها، وقلت:

- ألف، لدي خطة.



انتهت جراحة خالتي، وكذلك حياتها. في البداية، سار كلُّ شيء على ما يرام، بصورة جيدة للغاية. وحتى بعد الجراحة، كان كلُّ شيء يبدو جيدًا. خرج الطبيب لمقابلتنا جميعًا، ونزع قناعه وابتسم، ثم صافحنا قائلاً إنه سعيدٌ بالطريقة التي سارت بها الأمور في غرفة العمليات. لكن بعد ذلك، بدأت أعضاؤها تفشل، واحدٌ تلو الآخر، وعلى الرغم من أن الأطباء والمرضات حاولوا إنقاذها، فإنهم فشلوا أيضًا، وفي النهاية فقدنا تينا.

جلسنا على مقاعد في غرفة الانتظار، وقد أسندنا رؤوسنا بين أيدينا، في صفٍّ، محدقين إلى الأرض. كنّا قد ظننا أننا حققنا نصرًا ساحقًا. بكينا بهدوءٍ، وتهامسنا. تعرّض فريقنا لضربة أخرى غير متوقعة، ولم يستطع عمي فرانك الحديث على الإطلاق. نسينا أمر حقنة الإنسولين الخاصة به، وأخبرتنا شيلّا أن تينا كانت تتصل به مؤخرًا في أثناء وجودها في وينيبج لتذكيره. فقدتُ والدتي آخر شقيقاتها، والأقرب إلى قلبها. نهضتُ وغادرتُ الغرفة، فخرجتُ خلفها إلى الردهة، ورأيتها تسند جبهتها إلى الحائط الخرساني.

أعطت الممرضات في قسم أمراض القلب كيسًا لشيلا، كُتب عليه «ملك مستشفى سانت أوديل»، كان يحوي شبشب خالتي تينا، وكتاب السودوكو، ورواية كاثي رايكس، والنظارة، وفرشاة الأسنان، والكريم المرطب، والبدلة الرياضية الأرجوانية المزغبة، وقميصًا قصيرًا وضيقًا أسود اللون، وحذاء رياضيًا أبيض برقبة مرتفعة.

عقدنا اجتماعًا عائليًا هناك على الفور. ستصطحب شيلا والدها في سيارة أجرة إلى شقة والدتي لإجراء بعض المكالمات الهاتفية، ولترتيب كيفية إعادة جثمان تينا إلى فانكوفر. بينما سأذهب أنا لإبلاغ ألف بما حدث، ثم أذهب لشراء مزيد من البقالة، خاصة القهوة. حدثت والدتي نوعًا قويًا للغاية من القهوة، من متجر «بلاك بيرل»، بدلًا من قهوة ستاربكس تلك. ستأخذ والدتي سيارة نيك وتتوجه إلى دار الجنازات في شارع مين كي تتحدث إلى صديقها هيرمان، الذي ينتمي أيضًا إلى الطائفة المينوناتية، لترى ما يمكنه تقديمه بخصوص حرق الجثة، وجلب جرة للرماد.

جلستُ على مقعدٍ بجوار نهر اسينيوين، وأرسلتُ رسالة بريد إلكتروني إلى نيك من البلاك بيرل خاصتي. أخبرته أنه في غضون خمسة أو ستة أيام، سنذهب أنا ووالدتي إلى فانكوفر لحضور جنازة تينا، وسألته عمًا إذا كان بوسعه اتخاذ ترتيبات للعودة من إسبانيا في وقتٍ أقرب، كي لا تكون ألف بمفردها. اتصلتُ بأبنائي وأخبرتُهما بما حدث، فظلّا صامتين على الهاتف، من دون تصديق. كان بإمكانني سماع موسيقاهما تعزف من دون انقطاع في الخلفية. انتظرتُ حتى يتمكنّا من الحديث، ثم ودعنا بعضنا. تحوّلت السماء فجأة وصارت بلونٍ أرجواني داكن، مع ومضاتٍ من الضوء، واشتدت الرياح وأحدثت أمواجًا على صفحة النهر. كانت عاصفة براري

تقليدية، غاضبة من الجفاف الذي اضطرت إلى تحمله. ركض الجميع من حولي للاحتماء من البرد المتساقط. زحفتُ تحت المقعد، واستلقيتُ هناك من دون حراكٍ، واستمعتُ إلى كرات الجليد الضخمة وهي تضرب الخشب فوقي. رأيتُ علكة وكتابات، حتى هنا على المقعد من أسفل. كانت هناك الأحرف الأولى من بعض الأسماء، وقلوب، وكلمات سباب. فكرتُ في خالتي ووالدتي وهما تنزلقان بدراجتيهما من دون أن تُصابا بأذى، أسفل تلك الشاحنة العملاقة، قبل أن تخرجا من الجانب الآخر ضاحكتين وقد تقطعت أنفاسهما. لا بُدَّ وأنه كان إحساسًا رائعًا.

ها أنا أتعلم شيئًا جديدًا الآن. يجب أن نخوض غمار الأمور الشاقة بسرعة وبحماسٍ، ثم ننسحب، ينطبق الأمر ذاته على التفكير، والكتابة، والحياة. إن ما قاله جيسون بخصوص تنظيف خزانات الصرف الصحي صحيحٌ بالفعل. أتت خالتي إلى وينبيج لتكون إلى جانب والدتي وتساعدنا، إلا أنها ماتت بعد ذلك. جلستُ والدتي في شرفتها تحت ضوء القمر، تكتب تأبينًا لشقيقتها. امتدت المدينة في العتمة الخافتة، وقد هدأت بعد العاصفة الشديدة من الرعد والبرد، ولا تزال رطوبة ودافئة كامرأة بلغت تمام الرضا في الحب. كثيرًا ما كان يُطلب من والدتي كتابة كلمات التأبين، لأنها كانت تتمتع بأسلوبٍ مرحٍ هزلي، بارع فيما يتعلق بالتفاصيل، ومؤثر للغاية. أعددتُ طعامًا: قدرًا كبيرًا من المكرونة. ثم ذهبنا أنا وشيلا للتمشية بعد العشاء، وجلسنا معًا على الرصيف أمام بناية والدتي السكنية، بينما تحدثت هي عبر الهاتف مع شقيقتها التي كانت في فانكوفر، في انتظار استلام رماد والدتها. قالت شيلا على الهاتف:

- ما الذي يمكنني قوله؟ ما الذي يمكنني قوله؟

أخيرًا، عدنا إلى الداخل، واستمعت والدتي إلى شيلا وهي تتحدث عن تينا لفترة طويلة، ثم توجهت شيلا إلى غرفة نومها عند منتصف الليل. طرقت بابها، وقدمتُ لها مزيدًا من الشوكولاتة، تناولتها مني، فعانقتها قائلة:

- تصبحين على خير، «شلوب شاين».

مثلما كانت تفعل والدتها، عانقتني وبكى، ثم أحضرتُ لها مزيدًا من المناديل الورقية من الغرفة الأخرى. وجدتُ والدتي جالسة في غرفتها، واقترحتُ عليها الذهاب إلى النوم، قالت:

- لا، أنا بحاجة إلى كتابة بعض الأشياء، لا مانع لديّ من البقاء بمفردي بعض الوقت.

سألتها:

- هل كل هذا زائدٌ عن الحد بعض الشيء؟

ابتسمتُ قائلة:

- بعض الشيء.

تركتها بمفردها كي تكتب التأبين.

عدتُ إلى الداخل، ووجدتُ عمي فرانك جالسًا بمفرده على الأريكة في غرفة المعيشة وسط الظلام. لم يسبق وأن رأيتُ عمي فرانك يبكي من قبل. أخبرني أن تينا كانت أكبر منه سنًا، لكن روحها كانت أكثر شبابًا بكثير.

سألته:

- هل هذا صحيح؟ هل تزوجت امرأة أكبر سنًا؟

قال:

- حسنًا، كنت مضطّرًا إلى ذلك.

قبل أن أطلب منه توضيح ما يعنيه بذلك، قال لي:

- لقد رحلت تينا بسرعة، كما كانت تفعل كل شيء بسرعة.

واتفقنا أننا نريد الرحيل بنفس الطريقة أيضًا. واصل عمي فرانك الحديث قائلاً:

- أسوأ شيء هو الاحتضار لفترة طويلة من الوقت، لقد رقد جدك، والد تينا ولوتي، في الفراش لمدة تسع سنوات. قبلها، كان أكثر من عرفت من الرجال امتلاء بالطاقة والحيوية، كان رجلًا يعتمد على نفسه في كل شيء، ثم أصيب بتلك السكتة الدماغية. رقد في الفراش فترة طويلة، لدرجة أن ذراعه التصقت بجذعه، التحم جلده ببعضه، إذ لم يكن هناك بدّ من ذلك، وظل على هذا النحو.

- حقًا؟

قال:

- حقًا! لحسن الحظ أن والدتك وضعت حدًا لحياته عندما فعلت. حسنًا، لم تضع حدًا لحياته بالمعنى الحرفي، لكنها قررت ذات يوم أن تدعه يموت فحسب.

- ماذا؟

- كنّا جميعًا نتناوب الدور لشطف السوائل منه، أعني من رثتيه، والدتك، وتينا، وجميع الأبناء والأزواج المختلفين. كانت النهاية وشيكة، وهو يحتضر أخيرًا. أخذت رثته تمتلئان، وكنّا جميعًا نتناوب الدور لشطف السوائل منهما، أتعرفين ما يعنيه هذا؟

- حسنًا، ليس بالفعل، لكن يمكنني تخيل ذلك.

- تسع سنوات في الفراش. لكن قبل ذلك، أوه، كم كان ذلك الرجل مفعماً بالطاقة، وكم كان يمتلئ بالحيوية! «يوما»!

(كان ذلك تعبير بلغة البلاوتديتش، معناه التقريبي: «تبا»).

واصل قائلاً:

- كان دور والدتك لتكون معه. لم يكن هناك سواهما، وقد تأخر الوقت. قال: «هيلينا، هيلينا»، كان هذا اسم زوجته الراحلة، جدتك، «أنا قادم، أنا قادم».

- مهلاً، ماذا؟ هل اعتقد أنه رأى جدتي؟

- أجل. لم يعتقد ذلك، بل رآها بالفعل! لذلك اتخذت والدتك قراراً تنفيذياً، هذه هي طبيعتها، أليس كذلك؟ إن فتيات آل لوين يتصفن بالشجاعة الفائقة؛ لم تشفط السوائل منه. كانت ممرضة مُدَرِّبة حينها، وكان بإمكانها القيام بذلك بالطبع، لكنها اختارت ألا تفعل. امتلأت رثاء بالسوائل، فأمسكت بيده وقالت الأشياء التي نقولها في مثل تلك الأوقات، ثم تركته يرحل. كان هذا أفضل شيء يمكنها القيام به من أجله. إنه أمر شاق، يا يولي، (قال شيئاً بلغة البلاوتديتش، وهو يطالع السقف، ربما حلمًا أو ذكرى)، لكنها نفَّذته على الرغم من ذلك.

كان عمي ضخم الجثة، جلس على أريكة والدتي المزيّنة بالزهور، وبكى من أجل تينا الضئيلة ذات قلب الأسد، فتاته الشجاعة، بينما جلستُ أنا إلى جواره ويدي على ساقه.

كنّا أنا ووالدتي على متن طائرة. تحدثتُ مع ألف قبل رحيلنا، ولم
 تتحدث هي على الإطلاق. قلت لها إن كل شيء سيكون على ما يرام حقًا،
 وإنني بحاجة إليها، وإنني أفهمها، وأحبها، وسأفتقدها، وإنني سأعود من
 أجلها، وإن وجودنا في تورونتو معًا لبعض الوقت سيكون رائعًا، وإن نورا
 تتطلع إلى ذلك هي الأخرى، وإنني أفهم أن مجرد عدم رغبتها في العيش
 لا يعني بالضرورة أنها تريد الموت، لكن التخلي عن الحياة يسير على هذا
 النحو فحسب، وإنها تريد الموت كما عاشت، بأناقة وكرامة، وإنني أحتاج
 منها إلى أن تصبر، وتقاتل فترة أطول قليلًا، وتتمسك بالحياة، وأن تعرف
 أنها محبوبة، وأنني أريد مساعدتها، وسأساعدُها بالفعل، وأنني بحاجة إلى
 القيام ببعض الأشياء فحسب، وأنه يتعيّن علينا أنا ووالدتنا الذهاب إلى
 جنازة خالتنا تينا في فانكوفر، وأنني سأعود، وأنها ستبقى معي في تورونتو
 بعض الوقت، وسيكون ذلك بمثابة استراحة تامة، وأن نيك عاد إلى وينيبج
 الآن، وأنه سيرافها كل يوم، وأنه يتعين عليّ الرحيل، وأنه يجب أن أعرف
 أنها ستكون على ما يرام في أثناء غيابي، وأنني أنحني أمام معاناتها وكلي
 شعور بالشفقة، وأنها تستطيع التحكم في حياتها، وأنني أفهم أن الألم
 أحيانًا ما يكون نفسانيًا وليس جسديًا فحسب، وأن أكثر شيء تريده هو
 وضع حدّ لكل ذلك والنوم إلى الأبد، وأن الحياة انتهت بالنسبة إليها، لكنها
 كانت لا تزال مستمرة بالنسبة إليّ، وأن أحد جوانب تلك الحياة هو محاولة
 إنقاذها، وأن فكرة إنقاذها ليست شيئًا نتفق عليه، وأنني على استعدادٍ للقيام
 بكل ما تريدني أن أفعله، لكن فقط في حال ما إذا لم يكن هناك أي باب آخر
 يمكننا البحث عنه أو طرقه أو تحطيمه، لأنه إذا وُجد، فأنا على استعدادٍ
 لتكسير كل عظامي وأنا أضرب ذلك الباب اللعين بجسدي مرارًا وتكرارًا،

المرّة تلو الأخرى. سألتها:

- ألن تأكلي شيئاً؟ ألن تتحدثني؟

رفعت ذراعيها كرضيعٍ استيقظ من غفوته ويريد أن يحمله أحدهم،
فارتميتُ بينهما وانفجرتُ في البكاء.

في طريقي إلى الخروج من جناح الأمراض النفسية، توقفتُ عند
مكتب التمريض، وضعتُ يديَّ على الطاولة وراحتيَّ نحو الأعلى، كما
لو أنني على استعدادٍ لتبثيثهما بالمسامير إلى الفورمايكا، ثم توسلتُ قائلة:
- أرجوكم، لا تدعاها تذهب.

كانت هناك ممرضتان ترتديان زيّاً بلونٍ أزرق سماوي، وشعر كلٍّ
منهما مرفوعٌ في ذيل حصان. استدارتا من أمام شاشات الكمبيوتر، ونظرتا
نحوي، كررتُ قائلة:

- أرجوكم، لا تدعاها تذهب.

قالت الممرضة الجالسة بالقرب مني:

- معذرة، ندع من تذهب؟

قلت:

- شقيقتي، ألفريدا فون ريزين.

قالت الممرضة:

- لمَ سندعها تذهب؟ هل هي على وشك الخروج من المستشفى؟

قلت:

- لا، إنها ليست على وشك الخروج، أنا أطلب منك رجاء ألا

تصدقها إذا قالت لك إنها على ما يرام، لأنها ستكون مقنعة للغاية، وستفكرين أنت قائلة «حسنًا، لنخلِ هذا الفراش، وندع هذه المريضة تذهب»، لكنني أطلب منك ألا تفعل، رجاء.

قالت الممرضة:

- معذرة، من تكونين؟

- أنا شقيقتها!

قالت الممرضة:

- أوه، صحيح، لقد ذكرت ذلك.

ألقت نظرة على ملفاتها، بينما لم تبعد الممرضة الأخرى نظرها عن شاشة جهاز الكمبيوتر. واصلت الممرضة الحديث قائلة:

- لماذا سندعها تذهب؟ هل أخبركِ طبييها أنها ستغادر المستشفى؟

قبضتُ على الطاولة مثلما كان ذلك الرجل في فيلم «الخلاص» يقبض على حافة الجرف، قلت:

- لا. لا، لم يفعل. أنا أحاول الاطمئنان فحسب، أشعر بالقلق من أن تسمحوا لها بالرحيل، لأنها ستطلب الخروج، وستبدو طبيعية جدًا، وعاقلة للغاية.

قالت الممرضة:

- أعتقد أن هذا أمرٌ يقرره الطبيب.

قلت:

- حسنًا، لكنها ترغب في الموت، وإذا سمحتم لها بالرحيل، أخشى أنها ستقتل نفسها، حتى لو أخبرتكم بطريقة مقنعة للغاية أنها لن تقتل نفسها.

شعرتُ بخفقان قلبي. كنت أغمغم ونظري موجه نحو الأسفل، وانسالت مني الكلمات على صدر قميصي. لم يستطع أحدٌ سماعي بالفعل، وبذلوا جهدًا لمحاولة فهم ما أقوله.

قالت الممرضة:

- آسفة، أستمحك عذرًا؟ أعتقد أن الطبيب هو الذي سيقدر ما إذا كانت حالتها تسمح بخروجها.

حينها أتت جانيس من الركن عند غرفة الاستحمام، والتقت نظرانا، فقلت:

- أوه، جانيس، جانيس! كل ما أطلبه هو ألا يُسمح لألف بالرحيل في أثناء غيابي، سأعود لأخذها معي إلى تورونتو لبضعة أسابيع، أو لبضعة أشهر، وكل ما أطلبه هو...

شرعتُ أسعل، ولم أستطع الحديث. كانت جانيس تحمل جيتارًا. وضعتَه على الطاولة، وأتت إلى حيث كنت أقف، وضعتُ يدها على إحدى يدي، ونظرتُ في عيني مباشرة.

قالت:

- لا تقلقي، بالنظر إلى حالتها، وإلى ما مرّت به، فمن المستحيل أن نسمح لها بالعودة إلى المنزل في أي وقتٍ قريبٍ، وبالتأكيد ليس من دون وجود خطة. لا نعرف بعد ماذا ستكون تلك الخطة، سواء إقامة طويلة الأجل في مكانٍ مؤهلٍ لذلك، أو زيارات مستمرة لقسم الأمراض النفسية من دون إقامة، لكننا نعد أننا لن نسمح لها بالعودة إلى المنزل حتى يصبح لدينا خطة بديلة لرعايتها.

قلت:

- حسنًا، حسنًا.

لمسْتُ الجيتار، بسطحه الذهبي الأملس.

قالت:

- يولي، أعتقد أنها فكرة رائعة أن تذهب ألف إلى تورونتو لبعض الوقت.

شكرتها، ثم تركتُ يدي، ولم يشبه الأمر تمامًا السقوط من حافة جرفٍ مرتفعٍ.

نمتُ واستيقظتُ محلقة في السماء الزرقاء، عبر غيوم بيضاء ناعمة، بينما رأس والدتي على كتفي، وحقيبتني مفتوحة وقد انسكبت محتوياتها على حجري. تحسَّستُ جبهتي، التي نديتها طبقة رقيقة من العرق. شرع كلُّ شيء يسيل من جسدي الآن: الدم، والعرق، والدموع. كما هو الحال مع البضائع المباعة في التصفيات، وجب التخلص من كل شيء، وحتى الأشياء التافهة التي امتلأت بها حقيبتني تفجرت خارجة منها، كما لو أنه لا يمكن لي، ولا لشيء أملكه أن نحوي داخلنا شيئًا آخر. استيقظتُ والدتي، وظلَّت محدقة أمامها لفترة من الوقت، ثم قالت «هاه»، والتفتتُ لتنظر إليَّ للحظة، كما لو أنها تحاول أن تتذكر أين هي، ومن أكون. فكرتُ لنفسِي قائلة: «أوه، فلتبقي على هذا النحو، لا تتذكري، ابقِي على هذا النحو»، لكنها استفاقت من ذلك التشوش الذي غمرها عقب استيقاظها من غفوتها، وقالت:

- مرحى، يا يولي. في بعض الأحيان، علينا التحلي بالشجاعة فحسب.

ذات مرة، عندما كانت والدتي عاملة اجتماعية لدى جمعية مساعدة الأطفال، تعيّن عليها أن تأخذ رضيعاً من والدته مدمنة المخدرات البالغة من العمر ستة عشر عاماً. هاجمت الفتاة والدتي في مكتبها، وكسرت نظاراتها، حتى تركت جرحاً غائراً على جسر أنفها، ولا تزال الندبة الخشنة تلتصق باللون الأبيض على بشرتها المسمرة صيفاً. مسدت الندبة الصغيرة، فأبعدت والدتي يدي عن أنفها، وأمسكتها في يدها.

قلت:

- أوافقك الرأي، يا أمي، لكن شجاعة إلى أي مدى تقريباً؟

قالت والدتي:

- حسناً، على الأقل في مثل شجاعة ألكسندر سولجيتسين.

- إذن، يا أمي...

- أجل، يا يولاندي؟

ابتسمت، وقربت رأسها من رأسي كي تسمعني وأنا أتحدث.

- أعتقد أنه سيكون من الرائع حقاً أن تأتي ألف للإقامة معي في

تورونتو فترة من الوقت، بعد أن تخرج من المستشفى.

قالت والدتي:

- أوه! حسناً!

- سأكون في المنزل طوال الوقت، كما ستكون نورا موجودة معظم

الوقت. سيكون الأمر بمثابة تغيير للمنظر بالنسبة إليها، من دون ضغط.

الأمر يستحق المحاولة، أليس كذلك؟ يمكنني استئجار بيانو من أجلها إذا أرادت العزف، وبوسعنا حتى الحصول على قارب، أو شيء من ذلك القبيل.

قالت والدتي:

- قارب؟

- لأنني أعيش بجوار البحيرة، يمكننا أن نجلب زورقًا صغيرًا للخروج إلى البحيرة إذا شئنا.

بقينا صامتتين بعض الوقت، نفكر، ونستمع إلى فتاتين مراهقتين في الصف الواقع خلفنا تتبادلان الحديث عن المدرسة وعن فريقهما للكرة الطائرة، والأولاد، والطفح الجلدي، ثم سمعنا صوتًا آخر لامرأة أكبر، بدت مخمورة وهي تقول:

- استمعاً إليّ، سأمنحكما مائتي دولار، لكل فتاة منكما، إذا تمكنتما من إنهاء هذا الجدال من دون قول كلمة «يعني» مرة أخرى على الإطلاق. توقفت الفتاتان عن الحديث، فقالت المرأة:

- اتفقنا؟

قالت الفتاتان:

- يعني، كل واحدة منا؟

فتبادل جميع من سمع حديثهما الابتسام. بعد ذلك، بدأ رجلٌ في الممر يشتكي من أن أحد الأطفال عضّه في مؤخرته عندما وقف ليتناول شيئًا من الخزانة العلوية. كان ذلك صحيحًا، إذ رأيتُ بنفسِي طفلة في الثالثة من العمر تذرع الممر جيئةً وذهابًا وقد غلبها الضجر، وجدت نفسها

فجأة في مواجهة مؤخرة الرجل، ففتحت فمها إلى آخره وعَضَّتْه، وصرخ الرجل من دون أن يدري ما أصابه. وقفت الطفلة هناك عاقدة ذراعيها على صدرها، بينما اعتذرت والدتها بشدة ولكنها بريطانية راقية، وأمرت طفلتها بالاعتذار. أبدت الطفلة تصميمها، قائلة ولكنها جميلة هي الأخرى:

- لن أفعل.

فقالت المرأة:

- ستفعلين.

أجابت الطفلة:

- لن أفعل.

- ستفعلين.

- لن أفعل.

أخيرًا، قال الرجل الذي عَضَّتْه الطفلة:

- لا توجد مشكلة كبيرة في الأمر، بل كانت مفاجأة كبيرة فحسب، لننتهِ من الموضوع.

لكن الأم صمّمت على رأيها بلا هوادة، وأصرّت على أن تقدّم طفلتها الاعتذار.

- ستفعلين، ستفعلين بكل تأكيد.

إلى أن صاح الأشخاص الجالسون في مجموعة المقاعد من 14A حتى 26C قائلين:

- لن تفعل!

قالت والدتي:

- يبدو ذلك رائعا، يا يولي، ما رأي ألف في الموضوع؟

قلت:

- إنها ترغب في ذلك، سأجهز غرفة نورا من أجلها. لا تمنع نورا على الإطلاق النوم على فرشاة على الأرض في غرفة المعيشة. سأكون موجودة في المنزل على أي حال، كي أحاول الانتهاء من هذا الكتاب. سنذهب للتمشية، ونأكل، وننام، وسنفعل كل ما تريد ألف القيام به، الأمر يستحق المحاولة، أليس كذلك؟

قالت والدتي:

- تعجبني فكرة الزورق، وماذا عن نيكولاس؟ هل تحدثت معه بخصوص ذلك؟

قلت:

- ليس بعد، لكنني متأكدة أنه سيوافق. أعني، سيفتقدها بكل تأكيد، لكن ذلك لن يكون إلى الأبد.

قالت والدتي:

- لكن هل أنت واثقة بأنك قادرة على ذلك؟ لا نعرف ما ستقدم عليه ألفي، على الإطلاق.

قلت:

- أعرف هذا، لكن ما الفرق الذي يشكّله ذلك؟ في كلتا الحالتين، سواء كانت هنا، أو معي في تورونتو، سنشعر بالقلق على أي حال. لذا ربما يكون التغيير هو أفضل شيء؟ لقد أُلغيت الجولة الآن، لهذا لم تعد بحاجة إلى التفكير فيها، ولا في أي شيء.

بدت والدتي متشككة وهي تقول:

- حسنًا، يمكن أن يكون هذا أمرًا جيدًا، أليس كذلك؟

بعد الجنازة، جلسنا جميعًا في غرفة الطعام الكبيرة بالكنيسة، نتناول شطائر لحم الخنزير والجبن، ونحكي ذكرياتنا عن تينا. انحنى عمي فرانك في جلسته، مقربًا وجهه بشدة من أي شخص يتحدث، وقد بدا عليه التركيز وهو يوميء برأسه ولا يريد أن تفوته كلمة. إذا تمكّن من استيعاب كل جملة تُنطق عن زوجته الحبيبة المتقلبة، وتخزين كل كلمة وكل مقطع في مكان ما بأعماق جسده، فربما يتمكن حينها من الاحتفاظ بها فترة أطول قليلًا. أحببتُ طريقة تركيزه وهو يستمع، كما لو أن حياته تتوقف على ذلك.

أقيمت الجنازة في كنيسة تابعة للطائفة المينوناتية، لذا وقف الفريق المعتاد من المستهجنين (فهم لا يأخذون استراحة أبدًا، ولا حتى في الجنازات) وقد تجمّعوا في أحد الأركان، وأخذوا يلقون بنظراتهم نحونا بين حين وآخر. لكننا كنّا نألف طاقاتهم السلبية، وحاولنا ألا ندع نظراتهم تلتقي بنظراتنا أبدًا. عندما دخلنا الكنيسة قبل بدء قداس الجنازة، تنهدت والدتي عندما رأت ظهور مائة رجل يرتدون بدلات سوداء، كانوا جالسين بالفعل في الجانب المخصص لهم، وهمستُ قائلة:

- يا إلهي.

كنت أفهم ما تعنيه، همستُ في أذنها:

- لا تشبكي معهم.

ضغطتُ على يدي بينما نحن نتوجه إلى مقدمة الجانب المخصص

للنساء مع أسرتنا. إن العنف أبدي. يغيّر شكله، ويتسرب داخلاً كال مياه. ما الذي يفترض أن يفعله الشخص المسالم بالعنف الأبدي، إذا لم يكن بوسعه قصف العدو به مباشرة مرة أخرى؟ أنشدنا الترانيم بأصوات متناغمة. جلس عمي فرانك في المقدمة على الجانب المخصص للرجال، وحينما كنّا ننشد «يا له من صديق في يسوع»، استدار ورفع إبهاميه لي ولوالدتي، فأجبناه بالمثل.

بعد الجنازة، في غرفة الطعام، سمعتُ مقتطفات من محادثة تجريها والدتي مع هانز، ابن خالي.

- لقد أتت إلى وينيبيج كي تساعدني، ثم ماتت!

في وقتٍ سابقٍ قبل الجنازة، ذهبنا أنا وبعض أبناء خوؤلتي إلى قبر ليني. نُقِشت على شاهد قبرها عبارة تقول: «آمنة بين ذراعي يسوع». سيُدفن رماد خالتي في مكانٍ أسفل التل بعض الشيء، إلى شمال قبر ليني نوعاً ما. بدت المقبرة صغيرة وخضراء وعتيقة، وذكَرَني بالمقبرة الكائنة في إيست فيليدج حيث دُفن أجدادي، هيلينا وكورنيليوس، وخلفهما في صفٍّ منتظمٍ القبور الصغيرة لستة من أطفالهما. من بين الأطفال الستة عشر الذين أنجبتهُم هيلينا، لم يصل سوى عشرة فقط إلى سن البلوغ. تساءلتُ عن طبيعة حزن هيلينا، وعمّا إذا كانت، عند نهاية اليوم، عقب الانتهاء من كل أعمالها المنزلية، وعندما تخف أعباؤها بحلول المساء، تتاح لها دقيقة أو دقيقتين للبكاء أو التفكير. تساءلتُ عمّا إذا كانت تعرف من أو ما الذي تبكيه وتفكر فيه تحديداً، وعمّا إذا كان لذلك أهمية من الأساس. تساءلتُ عمّا إذا كانت جدتي قد قالت لجدي في أي وقت: «لا، يا عزيزي،

ليس الليلة؛ لدينا بالفعل أربعة عشر، أو ربما خمسة عشر، لم أعد أحصي عددهم، ومن بين هؤلاء الأربعة عشر أو الخمسة عشر يا عزيزي، دفنتُ ستة، وأنا مرهقة أكثر من العالم بأسره». والآن ها هي تينا أيضًا قد رحلت، وبقيت لوتي هي الأخيرة الصامدة، تقاتل جيوشًا خاصة بها. هكذا تسير الأمور.

بعد الجنازة، تناوب الناس الصعود إلى مسرحٍ صغيرٍ، ورواية القصص وسرد الذكريات عن تينا، وهو تقليدٌ لدى الطائفة المينوناتية يُسمَّى «فرايفيليجيس». رأيتُ أقارب لم ألتقهم منذ سنواتٍ. كانت شيلا هي المدير المبهج للحدث. اضطر زوجها جوردون إلى ارتجال بعض الكلام لتمضية الوقت، بينما كانت شيلا تحاول منع نفسها من البكاء فترة كافية لأداء مهمتها أمام الميكروفون. شكرنا جوردون جميعًا على قدومنا، وقال:

- من المؤسف ألا تستطيع تينا الوجود هنا والمشاركة، على الرغم من حبها للاحتفالات.

أدارت شيلا عينيها في محجريهما، وقد تماسكت بعض الشيء، وتناولت الميكروفون من جوردون، قالت:

- حسنًا يا رفاق، طوال حياة والدتي، لم يسبق وأن خذلها قلبها... حتى الآن.

قالت بضعة أشياء أخرى، ثم أتاحت الميكروفون للآخرين. كانت هناك طاولة بجانبها، تغطيها صور تينا في مختلف مراحل حياتها. كانت المفضلة لدي هي صورتها وهي تتدلى من نافذة سيارة والدها عندما كانت

في السابعة عشرة من العمر، تلوح مودعة، وعلى وجهها ابتسامة عريضة. «أراكم لاحقًا، أيها المستوطنون! أنا ذاهبة إلى المدينة!».

على الأرض بجوار الميكروفون، استقرت جرة خشبية جميلة، مثل بئر صغير، تحوي رماد تينا. وقفت زوجة أحد أبناء خؤولتي الستة والخمسين على المسرح، تتحدث عن الطريقة التي كانت تينا تنطلق بها مسرعة في أرجاء البلدة بشاحتها التي تحمل صورة ألسنة لهب على جانبها، وتعرف كيف تتفادى رجال الشرطة عند كل منعطفٍ. وبينما كانت هذه المرأة تتحدث، زحف ابنها الصغير إلى المسرح، وتوجه نحو الجرة الخشبية. جلس جوارها، ودقَّ عليها بعض الوقت، بعد ذلك، وفيما كانت والدته غافلة عنه - وهي مستمرة في الحديث عن تينا وكل خصالها الفاتنة، وجرأتها، وحنانها، وحماسها للحياة - تمكن الطفل الصغير بطريقة ما من رفع غطاء الجرة. راقبناه جميعًا بأفواه فاغرة، بينما هو يقلِّب رماد تينا، وينثره، مستمتعًا باللعب برفات جدة والده، حتى تحوَّل زيه المؤلَّف من قميص أبيض وسروال قصير أبيض، إلى اللون الأسود بفعل الغبار، وكذلك وجهه أيضًا. بعد ذلك، بدأ يضع الرماد في فمه بيديه الصغيرتين المتربتين، وكان الجميع قد لاحظوه حينها، فصعد والده إلى المسرح وحمله. شرع الكثير من الناس في الضحك (باستثناء فريق المستهجنين الدائمين، الذين تطلعوا إليه بصرامة وذعرٍ)، فتوقفت والدته عن الحديث في الميكروفون والتفتت، ورأت أن والد الطفل أخضع كل شيء تحت السيطرة، ونفض الرماد عن ملابس الطفل ومسح وجهه، وأعاد الغطاء فوق جرة تينا، قبل أن يعيد الطفل إلى الطاولة. استدارت الأم، زوجة ابن خالي، بهدوءٍ إلى الميكروفون، وأكملت حكايتها عن تينا وشاحتها، وتعلمتُ أنا شيئًا آخر،

وهو أن مجرد وجود شخصٍ ما يأكل رماد بطل قصتك، لا يعني أن عليك التوقف عن سرد الحكاية.

وقفتُ في بهو الكنيسة، وتحدثتُ إلى نورا بصوتٍ خافتٍ على هاتفِي المحمول. كانت تعتقد أنها كسرت إصبع قدمها في أثناء قيامها بحركة غريبة على جهاز المشي الخاص بوالدة صديقتها، وغمرها البؤس الشديد نظرًا لثقتها بأنها لن تتمكن من الرقص في حفلها الختامي الذي كان بعد أسبوعٍ، في حين يتعين على ويل العودة إلى نيويورك لاستلام وظيفته الصيفية، ووالدها لا يزال في بورنيو. كانت تبكي، سألتها:

- هل يمكنك الإقامة لدى زوي لبضعة أيام حتى أعود؟

قالت:

- لا، إن والدا زوي سوف يصطحبانها إلى تشرشل لرؤية الدببة القطبية، أو شيء من هذا القبيل.

سألتها:

- ماذا عن الإقامة عند أندرس؟ لقد أقام هو عندنا مرات كثيرة.

قالت:

- سيكون ذلك غريبًا، ألا يمكنك العودة إلى المنزل فحسب؟

* * *

عندما عدتُ إلى تورونتو، جلستُ في مقعدي البني الكبير ثلاث ساعات وأنا أحرق إلى الحائط. اتضح في النهاية أن إصبع قدم نورا لم تنكسر، بل التوت فحسب، لذا كان بوسعها المشاركة في الحفل الختامي. نقت قدميها في ماء دافئ. دومًا ما كانت تقف على ساقٍ واحدة، بينما الأخرى مشدودة في وضعٍ ما، ملتوي على نحوٍ يصعب تخيله. سألتني متى يعود دان من بورنيو، فقلتُ:

- لا أدري، يا حبيبتى.

شاهدتها تذبل بعض الشيء، وكتفاها يتهدلان، وقد انطفأت عيناها، سألتني:

- هل تعتقدين أنه سيعود في موعد الحفل؟

اختفى النمل؛ كان ويل قد نظف المنزل، وتناول ثلاثتنا طعامًا صينيًا، وسأهدنا جزءًا من مباريات كأس العالم على التلفزيون قبل أن تذهب نورا إلى مكانٍ ما بصحبة أندرس، وأقوم أنا بتوصيل ويل إلى المطار. عانقته فترة طويلة، بدرجة زائدة عن الحد في رأيه على الأرجح، لكنه لم يحاول الابتعاد. تتمم قائلًا:

- هل أنت بخير؟

فقلتُ:

- أجل.

قال:

- أحبك، أنتِ أم جيدة.

قلتُ:

- يا إلهي، شكرًا لك!

امتلات عيناى بالدموع على الفور.

- أنتَ ابنُ صالح!

قطعنا عنقنا، ووقفنا متباعدين ونحن نبتسم، قال:

- وأنتِ أخت طيبة.

تساقطت دموعي، وكانت حالتي ميؤوسًا منها. اعتذرتُ، فلوّح ويل بيده للتقليل من أهمية الأمر. تناول يدي وأمسكها بضع ثوانٍ. أضفتُ قائلة:

- وأنتِ أخ طيب!

قال:

- حسنًا، يا أمي، عليّ الذهاب. سأراكِ بعد شهرٍ، أو نحو ذلك.

سأتصل بكِ الليلة.

رأيتُه يمشي متمهلاً وهو يعبر من عند ضباط الأمن، ويتبادل بضع كلماتٍ عابرة مع الرجل الواقف خلف سير نقل الحقائق، ثم يناولهم بطاقة صعود الطائرة لتفحصها، قبل أن يخلع حزامه ويضعه في سلة. أتمَّ كلَّ هذه الحركات بدقة وهدوءٍ تام، وسيطرة مطلقة، أو هذا ما بدا عليه الأمر. هل أصبح رجلًا الآن؟

كان نيك ووالدتي يقضيان معظم وقتهما مع ألف في المستشفى. كانت محادثاتنا قصيرة، مثل محطات توقف للصيانة. كنّا نتبادل آخر الأخبار. هل جميعنا على قيد الحياة؟ جميعنا على قيد الحياة. هل هناك أي تغيير؟ ليس هناك أي تغيير. كنّا جميعاً في حالة ذهولٍ إلى حدٍّ ما، وحالة من انعدام التوازن. قضيتُ ساعات أمام جهاز الكمبيوتر للبحث عن الخيار السويسري، وأنا أحاول التفكير فيما يتعين عليّ القيام به. لم أتحدث عن ذلك مع أي شخصٍ في تورونتو. توجهتُ إلى البنك، وسألتُ رجلاً في غرفة صغيرة عمّا إذا كان بإمكانني الحصول على قرض بعشرين ألف دولار. ظننتُ أن هذا سيكون كافياً كي نذهب إلى هناك، ولعودتي أنا بعد دفع تكاليف «العلاج» والفندق، علاوة على تكاليف حرق الجثة وشراء جرة. وضعتُ كومة من كتب «روديو روندا» على المكتب. سألني عمّا إذا كان لديّ ضمانات، فقلت:

- لا، ليس لديّ أي شيء.

أخبرته أنني آمل في الحصول على مقدم قريباً، لكتابي القادم عن الروديو، وأنتني سأتمكّن من السداد حينها، فقال إن عليّ العودة في الأسبوع القادم كي أتحدث إلى شخصٍ آخر، وبحوزتي عقد كتابي. أخبرته أنه ليس بحوزتي بعد، لكن وكيلتي تعمل عليه، كما أخبرته أن لديّ كتاباً آخر قيد الإعداد (إلا أنني قلتُ قارب بطريق الخطأ، لديّ قارب قيد الإعداد)، لكنني لم أنته منه بعد. فقال الرجل:

- حسناً، من دون عقد يثبت أن لديك أموالاً قادمة في الطريق -سواء من خلال الكتب أو القوارب- لا يمكنني أن أمنحك قرصاً.

كانت ألف تمتلك المال، لكنه كان في حسابٍ مشتركٍ مع نيك، وسيلحظ إذا اختفى جزءٌ كبيرٌ منه. اتصلتُ به وسألته عمّا إذا كانت ألف قد ذكرت له فكرة قدومها إلى تورونتو، فقال:

- لا، لكن إذا كانت ترغب في ذلك، فلمَ لا؟

بدا صوته أهدأ من المعتاد، ولم يطلب أي تفاصيل، بل قال فقط:

- أجل، لمَ لا؟ ما المانع؟

أخبرته عن القارب، إذ كنت مهووسة بأمر القارب، قال إن ألف لا تهتم بالقوارب على حد علمه، لكن ربما، لمَ لا؟

أرسلتُ رسالة بريد إلكتروني إلى ناشري، وأخبرته أن كتاب «روديو روندا» العاشر سيكون على مكتبه في غضون أقل من شهر. كتبتُ بجنونٍ. كان لديّ قليلٌ من المال المتبقي من منحة فنون تلقيتها من أجل كتاب مدير المرفأ، وقدّرُ ضئيلٌ للغاية متبقٍ من بيع منزلنا في وينيبيج. اتصلتُ بنيك ووالدتي كل يوم للحصول على آخر المستجدات. كان نيك يذهب إلى المستشفى مرتين يوميًا في الغالب، وقال كالعادة إنه لم يجد جديدًا. لم يكن طبيب ألف النفسي متاحًا أبدًا للحديث معه، ولم تعد والدتي تذهب كثيرًا كما كانت تفعل من قبل، لأنها لم تعد تتحمّل ذلك، ولم يكن هناك أي تغيير. أخذ طاقم العاملين يوبّخون ألف باستمرارٍ لأنها لا تتبع البرنامج، ويلقون على والدتي المحاضرات عن الحب لكن بحزم، ويهددون بكهربة دماغ شقيقتي بالعلاج بالصدمات. اتصلتُ بمكتب التمريض كي أتوسّل إليهم، ولأطمئن أنهم لن يسمحوا لها بالخروج، لكن الحقيقة كانت أنها تحتضر في تلك المستشفى. قالت لي الممرضات إنه

لن يُسمح لها بالخروج، وطلبوا مني أن أعد لنفسي بعض الشاي، وأهدأ. سألتُ عمًا إذا كان بإمكانني التحدُّث إلى ألف، وقالوا فقط إذا خرجت من غرفتها، وأنت لتجيب الهاتف بنفسها في منطقة الاستجمام. كنت أتصل بمكتب التمريض أحيانًا في وقت متأخر من الليل، وأسأل عمًا إذا كانت ألفريدا موجودة. قالوا لي ذات مرة إنها موجودة، وإن عليَّ التوجه إلى الفراش. حاولتُ أن أقول للممرضة عبر الهاتف «لا تقولي لي إن عليَّ التوجُّه إلى الفراش»، لكنني تمكَّنتُ بطريقة ما من التوقف عند كلمة «لا»، ثم اعتذرتُ.

أجريتُ ترتيباتٍ مع نيك، كي يتصل بي من هاتفه المحمول عندما يزور ألف، ووضع هاتفه بجوار أذنها، وتحدثتُ عن خطتنا، وأنني ما زلتُ أفكر في الأمور، وفيما يتعين عليَّ القيام به، وأنني سأراها قريبًا على أي حال، وأن عليَّ الانتهاء من بعض العمل، وبعد ذلك سأعود إلى وينيبج. بينما كنتُ أتحدث، كانت تتنفس، على ما أعتقد، لكنها لم تتكلم. ثم اتصلتُ ذات مرة، فتحدثتُ فجأة، وكان صوتها واضحًا وقويًا، قالت:

- متى ستأتين لاصطحابي، يا يولي؟

كنتُ أقضي معظم النهار مستلقية في الفراش، أحاول العمل على كتاب «روندا». تساءلتُ عمًا إذا كانت المكسيك خيارًا أفضل، ومكانًا أفضل للموت. سيكون من الأرخص الذهاب إلى هناك. تخيلتُ أرجوحة شبكية تتمايل برقة كالمهد، وعودة إلى الطفولة، إلى الفراغ، ثم لا شيء. بدت المكسيك وثيقة الصلة بالموت في ذهني أكثر من سويسرا. كانت مكانًا أكثر بدائية، وأكثر فوضوية وغموضًا. كانت دولة تحتفل بيوم

الموتى من خلال الاحتفال وسط المقابر. بدت سويسرا وثيقة الصلة بسكاكين الجيب الحادة، والساعات، والبقاء على الحياد. أعدت لنا نورا العصائر، وتناولنا وجبات «الباليو»، حميتها الغذائية الجديدة، التي تتضمن كثيرًا من اللحوم والمكسرات، مثلما كان يأكل إنسان الكهف. كان حفلها رقيقًا وأنيقًا ومؤثرًا. في طريق العودة إلى المنزل بعد الحفل، سكبت هي وأندرس العصير، وأسقطا الأشياء، وتحسّسا بعضهما بارتباك في المقعد الخلفي بالسيارة. إذا كان ويل قد «وصل إلى شاطئ الرجولة» الآن، على حد تعبير والدي، فقد كانت نورا لا تزال تتركب تلك الموجة الفوضوية الرائعة من المراهقة في عرض البحر المفتوح، بينما خط الساحل يمكن رؤيته بالكاد بالعين المجردة. كان الجو حارًا على نحوٍ مثيرٍ للدهشة داخل شقتنا، وقد أخذت أفرع الأشجار المقطوعة تنمو، وتحيطنا باللون الأخضر مرة أخرى. كنّا نتحرك إلى الورا عبر الزمن، نحو الظلام.

اتصلتُ بالمستشفى بلا هوادة، في جميع ساعات الليل والنهار. هل هي هناك؟ إنها هناك. هل هي موجودة؟ إنها موجودة. ألن تسمحوا لها بالخروج؟ لن نسمح لها بالخروج.



اتصلتُ بألف، وأخبرتها عبر الهاتف بأنني سأمتلك ما يكفي من المال قريباً، للذهاب إلى زيورخ، وسأستخدم بطاقات الائتمان. لكن في صباح اليوم التالي، اتصلتُ بي والدتي لتخبرني أنهم سيمنحونها تصريح خروج ليومٍ واحدٍ. سيسمحون لها بالعودة إلى المنزل للاحتفال بعيد ميلادها. وجدتُ تلك الفكرة غريبة في ظلِّ مثل هذه الظروف، أو ربما لم تكن أَلْف قد ندمت بالضرورة على مولدها.

بلغتُ درجة هوسي بالتأكد من بقائها في المستشفى إلى أن أتمكن من جمع المال اللازم لاصطحابها إلى زيورخ حذاً نسيْتُ معه تماماً عيد ميلادها. قالت والدتي إن نيك في طريقه إلى المستشفى لاصطحابها، وإنها سوف تطلب توصيل كعكة لعيد الميلاد، وستشتري بعض الشمبانيا والزهور لتأخذها إلى منزلهما، وإن كلَّ شيء سيكون جيداً. قالت هذا بتأكيدٍ، كما لو أنها عرّافة. كان ذلك قراراً اتخذته. أنهيتُ المكالمة مع والدتي، وجلستُ في راحة كرسي بلاستيكي مصبوب على شكل يد، عثرت عليه نورا في قمامة شخصٍ ما، وقلت:

- حسناً، لقد رحلتُ إذن.

عادت نورا إلى المنزل في وقتٍ لاحقٍ من الصباح، وأخبرتها أن ألف ستعود إلى منزلها للاحتفال بعيد ميلادها، فقالت نورا:
- هذا لطيفٌ، لكن سيكون من الصعب عليها العودة إلى المستشفى بعد ذلك.

وافقتها الرأي، من الصعب للغاية. اتصلتُ بنيك على هاتفه المحمول، لكن لم يكن هناك ردٌّ. اتصلتُ بشقة والدتي، لكن لم يرد أحدٌ. سألتني نورا عمّا إذا كنتُ أريد لعب التنس معها، لذا تجوّلنا في أرجاء الشقة بحثًا عن الكرات والمضارب، وارتيدينا سروالينا القصيرين الرثين وقميصينا، وتوجهنا إلى ملعب التنس ذي الشبكة المتدلية على بُعد عدة مبانٍ في الشارع. لعبنا أشواطًا عديدة، وركضنا كثيرًا، وضيعنا كلّ الضربات تقريبًا، واعتذرنا كفتياتٍ صغارٍ ونحن نلهث طلبًا للهواء. لعبنا أربع أو خمس مباريات، وكدنا ننتهي، فجلسنا على جانب الملعب نشارك في الأيس كريم الذي اشتريناه من شاحنة تعالى من مكبر الصوت المثبت على سطحها أغنية «إنه عالمٌ صغيرٌ». حاولتُ تذكر كلمات الأغنية. إنه عالم ماذا وعالم ماذا؟ رنَّ هاتفي المحمول، وكان دان. فكرتُ: «أوه، لا، ليس الآن». أجبتُه، وسألني عمّا إذا كنتُ بخير، وأين كنتُ، وماذا أفعل؟ أجبتُ جميع أسئلته بدقة، وسألته:

- ألسْتُ في بورنيو؟

قال إنه هناك بالفعل، لكن نيك اتصل به في حالة من الذعر عندما لم يتمكن من الوصول إليّ، قال:

- يولي، اتصل بك ولديّ أخبارٌ سيئة.

سألته عمّا إذا كانت والدتي تعرف، فقال:

- لا، حاول نيك الاتصال بها في المنزل، وعلى هاتفها المحمول، لكنها لم ترد.

قلت:

- لقد خرجتُ للبحث عن كعكة.

قال دان:

- آه، حسنًا.

ثم ذكر أن نيك حاول الاتصال بي، ولم يلق جوابًا.

- أجل، بسبب التنس...

قال:

- يويو...

ناولتُ هاتفي لنورا قائلة:

- أمسكي هذا، من فضلك، لا أريده.

سرنا أنا ونورا عائدتين إلى شقتنا، حملتُ هي المضربين والكرات، وأمسكتُ أنا بيدها الأخرى الحرة. اعتقدتُ أنه من الغريب أن أسمع صوت مترو الأنفاق تحت الأرض هنا، ثم أدركتُ أنها أفكاري فحسب، تتصادم بعضها مع بعض، وتحاول إعادة ترتيب نفسها في هيئة جديدة.

اتصلتُ بي المستشفى عدة مرات. لم أجب في البداية، لأنني كنتُ منشغلة بحجز تذكرة طيران إلى وينيبج، والاتصال بوالدتي كلّ دقيقة من دون جدوى. أخيرًا، أجبْتُ على اتصال المستشفى، وكانت شخصًا لم أقابله من قبل، أطلقتُ على نفسها لقب المدير التنفيذي لشيء ما. سألتني

عمّا إذا كنتُ قد تلقيت الأخبار، فأجبتها بالإيجاب. قالت لي إنها آسفة للغاية، فأغلقتُ الخط. عاودتُ الاتصال، وسألتُ عمّا إذا كان بإمكانها الحديث معي، وتوضيح ما حدث، فقلتُ لها إنني أعرف ما حدث. تحدثتُ بصوتٍ هادئٍ، واحترافي للغاية، من دون توقف، ولا ثغرات في الحديث، ولا جدال. راقبتُ نورا وهي تتحرك في أرجاء الشقة، وتجهز أغراضنا من أجل الرحلة إلى وينيبيج. سألتني المرأة عمّا إذا كنت بمفردي، فأجبتُ بالنفي، قلتُ لها:

- أنا آسفة، لكن عليّ أن أذهب؛ لديّ ترتيباتٌ لأقوم بها، ولم أتمكن من الوصول إلى والدتي بعد.

قالت لي إنها تفهم ذلك، لكنها بحاجة إلى توضيح بعض الأمور، واصلتُ حديثها قائلة:

- كيف يمكنني التعبير عن هذا؟
سألتها:

- لماذا سمحتم لها بالخروج، في حين أنكم كنتم تعدون في كل يوم وكل ليلة أنكم لن تفعلوا؟ هل كنّا نلعب لعبة؟ ألم يكن من المفترض أن أصدقكم؟

سألتني عمّا إذا كان بوسعي الانتظار للحظة قصيرة، إذ كانت لديها مكالماتٌ واردة من قسم الشرطة، بخصوص موقف شقيقتي. قلتُ:

- موقف؟

جلستُ على الأرض، وانتظرتُ، وانتظرتُ، وسمعتُ أغنية ليونيل ريتشي «امرأة بثلاث نساء» وهي تُعاد مرارًا وتكرارًا، حتى لم أعد أستطيع

تتبع عدد النساء، ثم أدركتُ في النهاية أنه لا يتعين عليّ الانتظار، وأنني لستُ مضطرة إلى القيام بأي شيء تطلبه مني تلك المديرية التنفيذية. كان هذا هو الموقف. ضغطتُ زراً لإنهاء المكالمة في هاتفي، ونهضتُ كي أتوجّه إلى مساعدة نورا في حزم الأمتعة.

اتصلتُ بويل، لكنه لم يرد على هاتفه المحمول. اتصلتُ بوالده في مانهاتن، وشرحتُ ما حدث. سألتُه عمّا إذا كان بمقدوره الوصول إلى ويل رجاء، وشراء تذكرة له إلى وينيبيج على الفور، وسأدفع له ثمنها لاحقاً. أبلغني أسفه، وأنه سيدفع ثمن التذكرة، وقال إنه سيغادر العمل الآن، ويذهب للعثور على ويل الذي كان على الأرجح في كوينز، منشغلاً بعمله في تنسيق الحداثق. لم نكن أنا وهو قد تحدثنا حقاً منذ سنوات. كان يعرف ألف بالطبع، فيما مضى. شرع يبكي على الهاتف الآن، فانتظرتُ. كرر قائلاً:

- أنا آسف. كانت متمرّدة في تفكيرها، وكانت لطيفة معي، كانت مهتمة بكل شيء.

شكرته، وتوادعنا. اتصلتُ بجولي وأبلغتها بما حدث، وطلبت منها الذهاب إلى شقة والدتي وانتظارها هناك. ثم اتصلتُ باثنتين من صديقات والدتي، وأخبرتُهما بما حدث، وطلبت منهما التوجّه إلى شقتها وانتظارها هناك. كنت لا أزال غير قادرة على الوصول إلى نيك على هاتفه المحمول. حاولتُ الاتصال بوالدتي ثانية، كانت في شقتها، وصلتُ قبل الأوان.

سألتها:

- هل هناك كثيرٌ من الناس معك؟

قالت:

- لا، لماذا؟ أنا هنا بمفردي.

قلت:

- إنهم في الطريق.

سألتني عمّا حدث، قالت:

- أخبريني.



اجتمعنا جميعًا في وقتٍ متأخِرٍ من المساء، في غرفة المعيشة بمنزل نيك وألف. كنّا أنا ونورا لانزال نرتدي الملابس التي ارتديناها خلال لعب التنس. سألتُ نورا:

- هل لدينا ملابس أخرى؟

قالت:

- أجل، لدينا فساتين للجنازة، وملابس داخلية.

وصل ويل في سيارة أجرة من المطار، وكان في الحمام الآن. ظلَّ هناك فترة طويلة من الوقت، يبكي بمفرده، كما يفضلُ الشبان والسيدات العجائز أن يفعلوا.

أخبرنا نيك أنه كان قد اصطحب ألف من المستشفى، وعادا إلى المنزل، ثم طلبتُ منه الذهاب إلى المكتبة من أجلها، قال:

- دعينا نتناول الغداء أولاً.

فأبدت موافقتها. قال إن الغداء كان رائعًا، وبدا طبيعيًا. كان من اللطيف أن يجلس قبالتها على الطاولة فحسب، كالأيام الخوالي. ثم ذهب إلى المكتبة ليجلب الكتب التي طلبتها. كان الأمر سيستغرق عشرين دقيقة

فحسب؛ إذ إن المكتبة قريبة من المنزل، وعندما عاد، وجد المنزل خاليًا.
سأله ويل:

- ما الكتب التي كانت تريدها؟

كان قد خرج من الحمام الآن. قال نيك:

- كتبًا من ماضيها، تلك التي كانت تتذكر أنها غيّرت حياتها بطريقة
ما، أو منحتها... جعلتها تشعر أنها على قيد الحياة، لا أدري...

تلاشى صوته، فقال ويل:

- كتبًا مثل ماذا؟

قال نيك:

- مثل... لورانس، شيلي، ووردزورث... لا أدري، إنهم هناك.

لَوَّحَ بيده باتجاه كومة مائلة من الكتب بجوار طاولة الكمبيوتر. نظرنا
إليها للحظة وجيزة، ثم أشحنا بأعيننا عنها. لقد فشلت، ولم نستطع النظر
إليها. جلسنا في غرفة المعيشة الهادئة ذات اللون الأصفر، وابنتي
على كلا جانبي جدتهما، قريبان منها مثل الحرس. شبَّكا ذراعيهما
بذراعيها، كما لو أنهما يرغبان في منعها من الطفو إلى الأعلى والاختفاء
مثل بالون الهيليوم.

ظَلَّت والدتي تكرر عبارة واحدة كثيرًا. قالت: «هذا صحيح»، عندما
قال ويل إن عليها الجلوس، قالت: «هذا صحيح»، عندما عانقتها نورا
قائلة إن ألف ارتاحت من الألم، قالت: «هذا صحيح»، عندما شكرها
نيك على ولادة ألف، حبيبته الوحيدة، قالت: «هذا صحيح»، عندما أجبنا
جميعًا بنفسٍ واحدٍ قائلين «تنفَّسي»، بعد أن سألت: «ماذا الآن؟».

كان منزلاً جميلاً. أُلقيتُ نظرة على كتب ألف الخاصة بالبيانو، وهي
مكدسة بعناية فوق البيانو. نظرتُ إلى القطع الزجاجية التي جمعتها عبر
السنوات، مرتبة بعناية فوق إحدى المكتبات. فكرتُ لنفسي قائلة: «حسنًا،
يا ألف، أنتِ بارعة للغاية، جعلته يتركك بمفردك بحجة جلب الكتب،
والذهاب إلى المكتبة. بالطبع سيفعل ذلك؛ إن الكتب هي ما ينقذنا،
والكتب هي ما لا ينقذنا. المكتبة، بالطبع. ألفي، أنت غير معقولة!». كدتُ
أضحك حينها. ما الذي قالته عن المكتبات والحضارة؟ قالت:

- لأنك تقطعين وعدًا، تعدين بإعادة الكتاب، تتعهدين بالعودة. أي
مؤسسة أخرى تتعامل بحسن النوايا على هذا النحو، يا يو؟

رنَّ جرس الباب، لم يتحرك أي منَّا. رنَّ مرة أخرى، مرتين، قال نيك:
- أوه.

قلت:

- مهلاً، سأذهب أنا.

وجدتُ رجلًا من مخبز «تول جراس»، معه كعكة عيد الميلاد التي
طلبتها والدتي من أجل حفل عيد ميلاد ألف. شكرته، وجلبتها إلى غرفة
المعيشة، وأريتها لباقي الجماعة. كانت كعكة بيضاء رقيقة، رطبة وخفيفة
في نفس الوقت. كانت هناك رسالة مكتوبة لألف بالكريمة: أمنية قلبية
بالسعادة. تناول كل فرد منَّا قطعة، قطع نيك الشرائح بعناية، وقدمها إلينا
على أطباق ألف الخزفية البيضاء البسيطة. تناولنا الكعك، وراقبنا شمس
المساء وهي تتألق وتتكرر على الأطباق الزجاجية الزرقاء.

عند نهاية المساء، لم يتبق أي كعك أو ضوء شمس، فرحلنا. رافقنا نيك جميعاً إلى الخارج، ووقف على الدرج الأمامي بسريره الكاكي، وقميصه القديم. كانت ملابس مخصصة لعطلة نهاية الأسبوع، للاسترخاء والراحة. سألته والدتي عمّا إذا كان سيصبح بخير، ففتح لها ذراعيه، وحنى رأسه بشدة ليريحها على كتفها. سأله ويل عمّا إذا كان يريد أن يبقى لقضاء الليلة، فقال نيك:

- لا، لا.

رفض ذلك، لكنه شكره. كان والداه وشقيقه وأصدقائه من أماكن أخرى سيصلون جميعهم خلال اليومين المقبلين، سيبقى الليلة بمفرده. في وقتٍ لاحقٍ بشقة والدتي، فتحتُ الطرد الذي أعطاني إياه نيك عند رحيلي. كان به نسخة من قصة كتبها ألف. لم تكن لديّ أدنى فكرة أنها تؤلّف كتاباً. أسمته «إيطاليا في أغسطس». ألقى نظرة خاطفة على صفحة عشوائية، وقرأت فقرة قصيرة عبّرت فيها البطلة عن شغفها الشديد بإيطاليا، وأنها ترغب في الذهاب إلى هناك لأنه المكان الذي ذهبت إليه «شقيقاتها الخياليات». ثم عددتُ بعضاً من هؤلاء الشقيقات الخياليات، والكتب التي ظهرن فيها، وكيف قامت كلٌّ منهن بحمايتها بطريقة ما، وأنقذتها من لحظات الحياة الصعبة، ومن كل الهراء، ومن عذاب الحياة. آه، إذن كانت لدى ألف شقيقات أخريات! شعرتُ بالغيرة للحظة، إذ إنهن قدّمن إليها العون، في حين لم أفعل أنا ذلك. لقد أحبّبت تلك الكتب، وأحبّبتها الكتب بالمقابل. انقضى شعوري بالغيرة، وانتابني إحساسٌ غريبٌ حينها، كما لو أنه من الممكن تخفيف حزني بعض الشيء، وتوزيعه بيننا معشر النساء،

معشر الشقيقات، على الرغم من أن واحدة منّا فقط كانت حقيقية. قلبتُ صفحات المخطوطة حتى النهاية، وقرأت الفقرة الأخيرة.

«على الرغم من أنه ليس من المؤلف توديع القارئ في نهاية الكتاب، فإنني أشعر أنه لا يمكنني إنهاء هذه الحكاية من دون توديعكم. لقد اتضح أن هذا كتابٌ للوداع. لا يسعني إلا افتراض أنني كنت بحاجة إلى سرد كلمات الوداع تلك بإسهابٍ، وتحليل الأسباب الكامنة خلفها، وفهمها على نحوٍ أفضل. وبما أنكم كنتم رفاقي في هذه الرحلة، بل جمهوري، والسبب الأساسي لهذه الكتابة، فهذا أنا أجد نفسي مكلومة فجأة، عند التفكير في أن سُبُلنا ستفترق. وحيث إنكم تتمتعون بالأفضلية نظرًا إلى كونكم تعرفون عن حياتي أكثر بكثير مما يمكنني أنا معرفته عن حياتكم على الإطلاق، فلا يمكنني إلا أن أكتب بأسلوبٍ يغلب عليه التعميم، حينما أتمنى لكم جميعًا حظًا سعيدًا في كل شيء بالمستقبل. ومن أعماق قلبي، أقول لكم أوف فيدرسين، أديو. وإذا كانت هناك دموعٌ في عيني وأنا أسطر هذه الكلمات، فهي من أجلكم. أريفاديتشي».

نام ويل على الأريكة في غرفة المعيشة، ونمنا أنا ونورا ووالدتي معًا تلك الليلة على فراش والدتي الضخم. أزاحت كل الأشياء التي كانت عليه، روايات الجريمة، والملابس، والنظارات، والأجندة، والكمبيوتر المحمول خاصتها على السجادة، لكننا لم نل قسطًا وافرًا من النوم. ظللنا نتحدث إلى وقتٍ متأخرٍ من الليل، وحتى وقت مبكر من صباح اليوم التالي، عن ألف وأسلوبها الفريد، وعن الماضي، وعن أي شيء، باستثناء المستقبل، الذي كان بمثابة منطقة قتالٍ مميتٍ. كنّا في شهر يونيو، وأشرقت الشمس مبكرًا. طوال الأسابيع الستة الماضية، ظللتُ أسافر جيئةً وذهابًا، مرارًا

وتكرارًا، من الغرب إلى الشرق، ومن الشرق إلى الغرب.

قالت نورا:

- هذه أغرب سهرة مع الأصدقاء حضرتها على الإطلاق.

قالت والدتي:

- هذا صحيح.

شاهدنا بعض مباريات كأس العالم لكرة القدم على التلفزيون، التي بدا أنها بطولة لا نهاية لها، تمتد لشهور. بكينا مع الخاسرين، وتطلعنا إليهم لتوجيهنا إلى كيفية التعامل، وابتعدنا عن الفائزين الذين لم يثيروا اهتمامنا على الإطلاق. ثم اقترحت نورا أن نتبادل القمصان كما فعل اللاعبون بعد المباراة، فانتهى الأمر بوالدتي وهي ترتدي قميصًا صغيرًا متعرقًا (لا يزال من لعبة التنس) مكتوبًا عليه «الغابة النرويجية، تأليف هاروكي موراكامي»، وارتدت نورا قميصي القديم الذي تفوح منه رائحة العرق، المكتوب عليه «إنلاند للخرسانة»، بينما ارتديتُ أنا قميص نوم والدتي الناعم البالي عتيق الطراز، الذي كان هدية من والدي. تخيلته وهو يختاره لها في متجر «هادسونز باي»، عند تقاطع شارعي بورتاج وميموريال. كان من تقاليد والدي شراء قميص نوم لوالدتي في عيد الميلاد، ومصباح أيضًا في معظم الأحيان. الأشياء التي تحتاج إليها للاستعداد لليل. يمكن اعتبار أحدهما يساعد على النوم، والآخر يساعد على اليقظة، تمامًا مثل أقراص الدواء. أحيانًا كنّا نساعدُهُ أنا وألف في اختيار قمصان النوم. في بعض الأحيان، كانت رقيقة ومحتشمة من قماش الفلانيل، وفي أحيانٍ أخرى كانت قصيرة وشفافة. لم أكن قد قضيتُ كثيرًا من الوقت في التساؤل عن

حالة والدي المزاجية وهو ينتقي قمصان النوم هذه. ربما يكون التأثير الذي مارسناه أنا وألف على هذه العملية قد تغير على مر السنين، حينما صرنا نحن أنفسنا نساء.

استلقيتُ في الفراش وأنا أعد في ذهني عدد المرات التي استخدمتُ فيها ألف كلمة وداعًا في تلك الفقرة القصيرة. أربع مرات، بالإضافة إلى ثلاث مرات أخرى بلغاتٍ مختلفة. وداعًا سبع مرات. حسنًا، يا ألف، حسنًا. في ضوء الصباح الباكر، رأيتُ نورا ووالدتي نائمتين أخيرًا، على جنبيهما وجهًا لوجه، وكل واحدة ممسكة بيد الأخرى، وأيديهم الأربعة متشابكة مثل شلة من الصوف، أو كرة من الثعابين المتزاوجة، بحيث يصير ما بداخلهم محميًا تمامًا.



في إحدى الأمسيات، حين كنتُ طفلة، وألف مراهرة، وجميعنا معًا كأسرة في بلدتنا الميوناتية الصغيرة نستعد لتناول العشاء، توجَّهت ألف إلى الطاولة في غرفة الطعام، وشخرت من أنفها قائلة:

- مرحى، عفواً، لكن من المهرج الذي أعدَّ هذه المائدة؟

كان المسؤول هو والدنا، الذي دفعته والدتنا الغاضبة إلى العمل، بعد أن ذكَّرتَه قبلها مباشرة بأي عام نحيا فيه، وكيف أتى هذا العام بخاتمة رائدة لحقوق المرأة، وأنواع أخرى من الناس. نادرًا ما كان والدنا يغضب من أي شخصٍ سوى نفسه، لكنه شعر ببعض الضيق هذه المرة، قائلاً إنه حاول أن يكون رجلًا عصريًا، من خلال إعداد المائدة، ولم يلق سوى سخرية دنيئة، فلم يكثرث بالأمر إذن؟ على أي حال، ما

يهم في الأمر هو أنني تذكرت الطريقة التي قالت بها ألف « من المهرج الذي أعد هذه المائدة؟ ». كانت هذه الكلمات بالتحديد هي ما طرأ على بالي عندما شاهدت وجهها المهشم، بعد أن أصرت والدتي على رؤية الجثة قبل حرقها. كان ما هشم وجهها قطارًا، تمامًا مثل ذلك الذي قتل والدنا. لم تنتظره فترة طويلة على ما يبدو، إذ كان توقيتها جيدًا. أين يذهب العنف، إن لم يكن يعود مباشرة إلى دمائنا وعظامنا؟ ساعدنا أنا ونيك والدتي على المشي عبر الممر في دار الجنازات الخالية، ووقفنا على جانبيها وقد شبكنا أذرعنا بأذرع بعضنا بإحكام، كما لو أننا على وشك أداء رقصة شعبية روسية. كان مدير الجنازة قد اقترح على والدتي أنه إذا أرادت رؤية جثمان شقيقتي، فربما ينبغي لها الاكتفاء برؤية يدها فقط. يمكنه أن يغطيها تمامًا داخل الصندوق الخشبي، باستثناء يد واحدة نحيفة شاحبة ظاهرة. خالفته والدتي الرأي، قالت:

- سأرى وجه ابنتي.

لذا ها هي، وقد بدت الفجوة المخيطة في رأسها مثل كرة بيسبول مصنوعة منزليًا، وكانت تلك هي اللحظة التي فكرتُ فيها: «من المهرج الذي خاط وجه شقيقتي؟». بعد ذلك، بعد نحو دقيقة من التحديق إليها، على أمل أن يطرف لها جفن أو تفتح عينيها، أو تضحك على هذا المشهد السخيف، غيرت رأبي وغمرتني موجة قوية من الامتنان حيال مدير الجنازة الذي حاول جاهدًا استعادة جمال شقيقتي، كي تلقي والدتها نظرة أخيرة عليها.

تركت لي ألف مبلغ التأمين على حياتها، كما تركت لي أيضًا، على غرار فيرجينيا وولف، مبلغًا شهريًا قدره ألفا دولار، للعامين القادمين، كي أتمكن من البقاء في المنزل، في غرفة تخصني وحدي، وأتفرغ للكتابة. كتبت في الرسالة القصيرة التي تركتها خصيصًا لي: «فلتبدئي العمل إذن، أيتها الدوارة». أكل كل شيء آخر إلى نيك، باستثناء الصناديق الائتمانية التي أنشأتها لولدي، والمال الذي تركته لوالدتنا كي تتمكن من السفر بشكل مريح، وشراء سماعات أذن طبية قوية لنفسها، وشراء سيارة جديدة أنيقة. سأستخدم مبلغ التأمين على الحياة لشراء منزل متداعٍ في تورونتو بحاجة إلى إصلاحات، وأعتقد أن ألف سوف تسعد بقراري. هل كانت تحاول اختبار مدى جدتي؟ هل كانت تنتوي الحضور إلى تورونتو على الإطلاق؟ هل انتويتُ أنا اصطحابها إلى زيورخ على الإطلاق؟

سنتنقل والدتي إلى تورونتو، للإقامة معي أنا ونورا.

سألني عبر الهاتف:

- هل يمكنني ذلك؟

قلت:

- أرجو أن تفعلني.

لم يكن هناك أي جدال، ولا نقاش. فقد آن الأوان كي نجتمع حشودنا معًا، إذ إننا فقدنا نصف رجالنا، وأخذت الإمدادات تتضاءل، والشتاء قادم على الأبواب. سنعيش نحن السيدات الثلاث في هذا المنزل القديم المتداعي الذي اشتريته بفضل ألف.



استلقيتُ على مرتبة هوائية في منزلٍ فارغٍ في منتصف الليل، أستمع إلى نيلسون وهو يخبرني عن أطفاله الموجودين هنا، والموجودين في جامايكا، والإزعاج الذي تسببه له أمهات الأطفال، وهو السبب وراء كونه مضطراً إلى العمل طوال الليل أيضاً، علاوة على العمل في أثناء النهار. وقف نيلسون على الدرجة العلوية من السلم وهو يحاول جاهداً الوصول إلى السقف بفرشاته. أنا لستُ على علاقة بنيلسون، بل وظفّته للطلاء. أتردد ما بين النوم واليقظة، بينما أحاول تذكر كيف سارت محادثة دارت بيني وبين ألف منذ سنوات، كانت تقريباً كما يلي:

- مرحى، ما هذا الذي في أذنك؟

- أذني؟ لا شيء.

- أجل، هناك شيء ما في أذنك، يا يولي يشبه السائل المنوي، أو شيئاً

من هذا القبيل...

- ليس لديّ سائل منوي في أذني.

- بل هو كذلك! أنا متأكدة تماماً. أجل، لديك مني في أذنك!

- إنه شامبو.

- إنه ليس شامبو، تعالي هنا.

- توقفي عن هذا!
- حقاً، تعالي هنا، ودعيني أتفحصه.
- لا.
- ما هذا إذن؟ تذوقيه.
- إنه شامبو، لقد استحممتُ للتو.
- كيف يمكنك التأكد من ذلك؟ تذوقيه.
- ألفريدا، لستُ بحاجة إلى تذوق أيّ ما كان بأذني، وهو شامبو، للتأكد من أنه ليس سائلاً منوياً، لأنني لم أضع نفسي في أي موقف...
- ها! يا إلهي، يا لك من كاذبة! اهدئي، يعجبني أن لديك مني في أذنك.

أستمع إلى نيلسون وهو يحكي لي عن حياته، بينما يطلي الجدران الرثة بطبقة من الأبيض الناصع. يبدو منزلي الجديد متداعياً، لكن هيكله متين، تبعاً لوكيلتي العقارية. أخشى أنها تعني ذلك بالمعنى الحرفي. عثرتُ على كتابٍ في خزانة المطبخ بالأمس، تركه المالك السابق المخيف، عنوانه «القتلة المتسلسلون، من الألف إلى الياء». لم تكن وكيلتي العقارية ترغب في أن تريني هذا المنزل على الإطلاق، إذ إنه أثار اشمئزازها وجعلها تشعر أنها متسخة، لكنني أخبرتها أن الوقت ينفد، وأن والدتي قادمة في الطريق. يقع المنزل بالقرب من بحيرة ملوثة، محشوراً بين دار جنازات، ومستشفى للأمراض العقلية، ومجزر. قالت والدتي عندما وصفته لها عبر الهاتف:

- هناك شيء لكل فرد منّا.

كانت جدرانه متصدعة، أو مفقودة، أو متداعية، والأبواب محطمة، وجميع السلالم مكسورة، والطوب يتحلل إلى مسحوق أحمر يطفو حول المنزل مثل الرماد البركاني، ويدخل في عينيك وفمك. كما كان السقف بحاجة إلى استبداله، والأساس مليء بالثقوب، بينما اكتسحت الأعشاب الضارة الحديقة، وكان هناك ظربان يعيش تحت أرضية الشرفة. في وقت متأخر ذات ليلة، صادفتُ عاهرة (منذ أن بدأ ويل عامه الدراسي الثاني في الجامعة، صار يقول إن علينا تسميتهن العاملات في تجارة الجنس) وعميلها وقد اجتمعا واستغلاً سياجي الخلفي لإتمام الصفقة. قلتُ «يا إلهي»، كما كان والدي سيقول إذا حدث وأن التقى بإحدى سيدات الليل. على طرف أنف العاهرة، كانت هناك ندبة حمراء بحجم عملة معدنية من فئة عشر سنتات، كما لو أنها قررت في البداية مغادرة المنزل في صورة مهرج، ثم غيّرت رأيها وعادت لتصبح عاهرة. في كل صباح، ألنقط الواقي الذكري والسرنجات المستعملة بعضاً طويلة، وأضعهم في دلو أزرق بالقرب من البوابة الخلفية، التي تفتح في عكس الاتجاه المفترض، وتصطدم بوجهي عدة مرات يومياً. عندما يمتلئ الدلو، سوف... لست متأكدة. الحديقة المزعومة التي تحيط بالمنزل ليست سوى تراب وقاذورات، كما أن الأرض مشبعة بالرصاص السام من المصانع المحيطة. لديّ أربعة أسابيع لترميم هذا المنزل المتداعي، قبل وصول والدتي بشاحتها العملاقة التابعة لشركة «يوناتيد آلايد» للنقل. ستقيم نورا في الطابق العلوي، في غرفة العلية مع السناجب، وسأقيم أنا في الطابق الثاني مع الفئران، بينما ستبقى والدتي في الطابق الرئيسي بالقرب من الظربان.

ستتمكّن جميعًا من الخروج من أبوابنا الخلفية المكسورة، في طوابق مختلفة، ثم نشرع في الغناء، كما يفعلون في أوبرا «لا بوهيم». هذا هو المكان الذي جئتاه للشفاء، إذا جاز التعبير. هناك مصنع مهجورٍ لقطع غيار السيارات، مبني من الطوب الأسمنتي، على الجانب الآخر من الممر الكائن خلف المنزل. يحجب المصنع معظم السماء من جهة الغرب، إلا إذا صعدنا إلى سطح الطابق الثالث، حيث يمكننا حينها رؤية الطريق إلى وينيبج بالكامل تقريبًا.

هناك خندقٌ مملوءٌ بالوَحْل يحيط بالمصنع المبني من الطوب الأسمنتي، يرمي الناس فيه القمامة، وأسرة الأطفال، ومضارب التنس المكسورة، وأجهزة الكمبيوتر، والملابس الداخلية القذرة، والمنبهات. وفي وقتٍ متأخرٍ من الليل، يقف رجلان غامضان صامتان يرتديان أحذية برقة طويلة وسط الوحل، ويقومان بتفريغه من الخندق، حتى يجري الوحل البني السام عبر الممر جنوبًا باتجاه شارع أديليد، ثم إلى شارع كينج، وأخيرًا إلى بحيرة أونتاريو، حيث ينضم إلى باقي الأوحال. استأجرتُ شخصًا لبناء غرفة نومٍ بالجزء الخلفي من المنزل، غرفة كبيرة ومشرفة ودافئة، ستتمتع ذات يومٍ بإطلالة جميلة على حديقة مليئة بالورود، تعلوها سماء زرقاء، وآمالٌ وأحلامٌ محلقة، من أجل والدتي.

دعاني أحد الرجال الذين استأجرتهم لإصلاح المنزل في موعدٍ غرامي، نوعًا ما، كي أرافقه إلى مجموعة الدعم التي يحضر اجتماعاتها للبالغين من أبناء مدمني الكحوليات. عندما أخبرته أن والديّ ليسا من مدمني الكحوليات، قال إن ذلك لا يهم، وإن لكلٍّ منّا مشاكله الخاصة. كان هناك رجلٌ آخر منهم، عمل في السابق أستاذًا للفلسفة في بوخارست،

أخذ يتبول من فوق الدرج الأمامي للمنزل، وشجع جميع الرجال الآخرين على القيام بذلك أيضًا. كان يزعم أن رائحة البول البشري سوف تبعد الظربان. بعد النهارات الرطبة التي تنقضي في التفاوض على الأسعار المختلفة، والدفع نقدًا على الدوام للرجال الذين يقومون بأعمال متعددة داخل المنزل وخارجه وعلى سطحه، أستلقي ليلاً على هذه المرتبة الهوائية داخل منزلنا الخالي، وأستمع إلى نيلسون وهو يقص عليّ حكاياته عن أطفاله ونسائه وعمله، باللكنة العذبة للغة مسقط رأسه، جامايكا.

تورّمت عيني اليمنى نظرًا لكوننا في شهر أغسطس، انتفخت، وصارت حوافها داكنة. لديّ حساسية من فصل الخريف، ومن الأيام القصيرة، والليالي الطويلة، والموت. تجادلتُ مع صديقة اليوم، استدرجتني للخروج من منزلي بحجة أنني بحاجة إلى بعض الهواء النقي، وإلى تغيير المناظر، وأن عليّ المضي قدمًا، بخطى صغيرة.

كان ذلك خطأ.

جلسنا في مقهى اسمه «سفينج جريس» في شارع دانداس، وطلبنا البيض. قالت لي:

- لقد شعرتُ بالقلق الشديد حيالك، لا بُدَّ وأن كل ما مررت به كان فظيعةً للغاية. في رأيي، فإن «موت الشخص بيده» دومًا ما يُعد خطيئة، دومًا، بسبب الألم الذي يتسبّب فيه للناجين.
سألتها:

- وماذا عن كل الناس الذين يعانون بسبب الأوغاد الذين على قيد الحياة؟ هل يُعد بقاء الأوغاد على قيد الحياة خطيئة؟

قالت:

- حسنًا، لكننا هنا على هذه الأرض، حتى لو لم نختر ذلك، وقد ورثنا واجباتٍ عديدةٍ حيال الناس الذين قاموا على تنشئتنا، والأشخاص الذين يحبوننا. أعني، كل شخص لديه آلامه الشخصية، بكل تأكيد، لكن من المفارقات أن موت المرء بيده، على الرغم من كونه فعلًا ينطوي على تدمير الذات، فإنه يبدو لي بمثابة غرورٍ مطلقٍ. إنه سلوكٌ أناني بدرجة لا تُصدق.

قلت:

- هل يمكنكِ رجاء التوقف عن قول «موت المرء بيده»؟

قالت:

- حسنًا، ماذا أقول إذن؟

- الانتحار! عندما يُقتل شخص، هل تصفين الأمر بأنه مات بيد آخر؟ نحن لسنا في رواية كونت دي مونت كريستو اللعينة!

قالت:

- ظننتُ أنه تعبيرٌ أكثر حساسيةً فحسب.

واصلتُ قائلة:

- وأنا ناني؟ كيف يمكن أن يكون ذلك أنانيًا؟ ما لم تكوني قد رأيت العذاب بنفسك مباشرة، لا يمكنكِ حقًا إصدار الأحكام.

قالت:

- حسنًا، لكن إذا كانت شقيقتكِ قد فكرت في كيفية تأثير ذلك عليكِ عندما...

قلت بصوتٍ مرتفعٍ:

- تأثير ذلك علي؟! معذرة.

أخذ الناس ينظرون إليّ، واصلتُ قائلة:

- اسمعي، أعتقد أنك لا تفهمين، لا أريد أن أكون متغطرة، لكن

كيف يمكنك حقاً فهم ما يعنيه انتحار شخص آخر؟

طلبتُ صديقتي من النادلة مزيداً من القهوة. قلت:

- في الواقع، لقد شرعتُ الآن أقيس شخصية المرء ونزاهته من خلال

قدرته على قتل نفسه.

قالت:

- ما الذي تقصدينه؟ انظري، لا أعتقد...

قلت:

- جيرمي أيرونز، على سبيل المثال، أراهن أنه سيكون قادراً على

ذلك. فلاديمير بوتين؟ مستحيل.

ذكرتُ أسماء بعض الأشخاص الذين نعرفهم، وقلتُ نعم أو لا بعد

كل اسم، ثم ذكرتُ اسم صديقتي، وتوقفتُ. حدثتُ إليها بعيني المتورمة،

فقلتُ لي:

- يجب علينا ألا نتحدث عن الانتحار بعد الآن، إذ يمكن أن يؤدي

هذا إلى تمزيق أواصر صداقتنا.

قلت:

- بل ستتحدث عنه إلى الأبد، وإذا كنتِ لا تريدين أن تتحطم طائرتك،

عليك أن تراجعني في ذهنك كل الطرق التي يمكن أن تؤدي إلى تحطمها.

قالت:

- قد تكون لديك مشاكل متعلقة بالغضب الدفين.

فأجبتها قائلة:

- أوه، يا لك من قارئة للأفكار، أعتقدين ذلك حقاً؟

حاولتُ الاعتذار لتخفيف حدة التوتر، لم أعرف ماذا أقول. اقتبستُ مقولة جوته، كما كانت والدتي تفعل، من سيرته الذاتية، «من حياتي: الشعر والحقيقة».

- «إن الانتحار حدث ذو طبيعة بشرية، ومهما قيل أو تم بشأنه، فهو يستحق التعاطف من كل إنسان، ويجب إعادة النقاش بشأنه في كل عصر»...

لكن بينما كنت أنطق تلك الكلمات، انشغلتُ صديقتي بتفقد هاتفها المحمول وهي تتعمد عدم الإنصات إليّ. كنتُ قد أثرتُ استياءها، ولم أُلَمها على ذلك. أردتُ إعادة الحديث إلى مساره الصحيح. قرأتُ في مكانٍ ما إن الحيوانات موضوعٌ محايدٌ ممتازٌ. سألتُها عمّا إذا كان لديها حيوانات أليفة، فأجابتنني بأنني أعرف أنها لا تمتلك أيّ حيوانٍ أليف. حكيتُ لها عن ليفتي، قلتُ لصديقتي:

- كانت كلبة من فصيلة بوردر كولي، وكما تعلمين، عندما كان ولداي صغيرين، اعتاد جميع أصدقائهما القدوم للعب في الحديقة الخلفية، وكنتُ أتفقدهم بين حين وآخر. ذات مرة، نظرتُ إليهم عبر النافذة، فوجدتهم جميعاً متكديسين في أحد أركان الحديقة، لكن الأمر بدا كما لو أنهم غافلون عن ذلك، واستمروا في اللعب فحسب. أتدرين

لماذا؟ لأن ليفتي كانت من فصيلة بوردر كولي، وكلاب بوردر كولي هي كلاب رعي. كان الرعي من طبيعتها، لذا أصبح ولدائي وأصدقائهما جميعاً في نهاية المطاف محشورين في ركنٍ من الحديقة، وقامت ليفتي بما كان يفترض أن تفعله. لم يكن لديها أي سيطرة على الأمر، كان الرعي محتملاً عليها، هل فهمتِ إذن سبب غضبي الشديد؟

بعد ذلك، ثملتُ من شرب التيكىلا. يوجد مسدسان متقاطعان على الزجاجة، موجهان نحو السماء، نحو الرب. اتصلتُ بصديقتي، وهمستُ باعتذارٍ آخر لجهاز تسجيل المكالمات خاصتها. كنتُ على وشك إخبارها بأنني أعتقد أنها تمتلك ما يلزم لقتل نفسها، لكنني توقفت في منتصف الجملة، وبدلتها قائلة إنني أعتقد أنها تمتلك ما يلزم من أجل التحمُّل.

اتصلتُ بجولي، لكن ابنها أخبرني أنها ذهبت لمشاهدة فيلم مع جادسون، وأن جدته ترعاه هو وشقيقته. قلت:

- أخبرها أنني أحبها، وأحبك أنت أيضاً، وشقيقتك، وكذلك جدتك. أحبكم جميعاً.



والدتي هنا الآن، في تورونتو، ويعيش ثلاثتنا في المنزل، والدتي، وابنتي، وأنا. كانت المرة الأولى التي رأيت فيها والدتي المنزل قبل بضعة أسابيع، في وقت متأخر من الليل، وسط عاصفة كهربائية. أخذ المطر يهطل أفقيًا بغزارة، على شكل كرات صغيرة، كما بدا الليل أرجوانيًا داكنًا والبرق يلتمع خلاله مثل سكاكين تطعن الأرض. كنت قد أوقفت السيارة في الممر. جلستُ نورا في المقعد الخلفي مع اثنتين من صديقاتها من المدرسة. نزلت والدتي من السيارة، وحاولت فتح مظلتها، لكن الريح أخذ يضربها، لذا كافحت معها بعض الوقت، بينما حذرني إليها بقيتنا من خلال نوافذ السيارة كما لو كانت ممثلة صامتة تؤدي عرضًا من نوع ما، حتى استسلمت في النهاية، وليذهب كل شيء إلى الجحيم. ألقيت بالمظلة في الهواء، وتركت الريح تتلقفها. راقبنا المظلة وهي ترتفع بسرعة، مثل مكوك الفضاء تشالنجر، ثم تسقط إلى الأسفل مباشرة. قبل ثوانٍ فقط من ارتطامها بالأرض، اتجهت نحو رأس والدتي مباشرة، لكنها تفادتها، فاصطدمت الشمسية بالسيارة. شرعنا جميعًا نترجل من السيارة، وقد غرقنا بالفعل من مجرد ثانية واحدة تحت المطر، ثم تمكّنت والدتي من الإمساك

بالمظلة، وتوجهتُ بها نحو الخندق المجاور للممر، ذلك الخندق السام
المشير للاشمئزاز المليء بالقمامة المحيط بمصنع قطع غيار السيارات
المبني بالطوب الأسمنتي، وألقت المظلة هناك، قالت:

- ياله من هراء!

كما لو كانت تعني أننا حمقى لاعتقادنا أننا نستطيع الهروب من غضب
الاضطرابات الجوية. وقفنا نضحك وسط العاصفة، وراقبنا المظلة عديمة
الفائدة وهي تغوص في الوحل. في وقتٍ لاحقٍ، لكن ليس الليلة، سأقترح
على والدتي أن نضع قمامتنا في الحاوية الزرقاء بدلاً من المصرف الكائن
في الخلف. ستقول: «أوه، صحيح، نسيْتُ أنك تؤمنين بإعادة التدوير.
أتعلمين أن كلَّ تلك الأشياء تؤول إلى نفس المكان في النهاية؟ إعادة
التدوير ما هي إلا مؤامرة حكومية تهدف إلى جعلنا نعتقد أننا نساهم في
إنقاذ الأرض، حتى يتمكنوا من عقد صفقات فاسدة مع شركات التعدين
كي يجنوا مزيداً من الأرباح». أخيراً، وصلنا إلى المنزل، ووجدنا نيلسون
هناك على السلم المرتفع وهو يضع اللمسات الأخيرة على أسقف والدتي،
وقد تعالت نغمات موسيقى الراب، وعبق الجو برائحة الماريجوانا.

تفحَّصتُ والدتي كلَّ شبرٍ من المنزل بتمهل وبعناية، وهي تبتسم
ابتسامة عريضة، ونقاط المطر تقطر من طرف أنفها. تنهدتُ، ومرَّرت يديها
على الدرابزين وعلى الجدران، وأومأت برأسها تجاه شيء ما، وأشارت
بصمِّ إلى شيء آخر، وهي تتذكر تفاصيل من طفولتها. تراجعتُ إلى
الوراء ووقفت تحمِلق، كما لو كانت في متحف اللوفر، وخلصتُ إلى أن
البيت يتمتع بطابعٍ مميزٍ، وسحرٍ غريبٍ، وأجواء دافئة، وأنها تتخيلنا نعيش
هنا في سعادة. قالت لي «برافوا!»، ثم تعانقنا جميعاً، وضربنا أكفنا بأكف

بعض، أنا ونورا، وصديقاتها من المدرسة، وحتى نيلسون الذي نزل من على سلّمه ليرافقنا في الجولة عبر المنزل.

كنت قد وضعت أربع زجاجات من البيرة في الثلاجة، وشربنا أنا ووالدتي ونيلسون نخب مستقبلنا، أو نخب غرابة اللحظة الحالية، أو نخب مرورها فحسب، أو نخب الذكريات الخاصة، أو ببساطة نخب فكرة المأوى بصفة عامة. انقطع هطول المطر لبضع دقائق، وخرجنا جميعًا إلى الشرفة القديمة التي تصدر صريرًا، والتي تتدلّى منها أنوار عيد الميلاد المكسورة بالطابق الثاني، كي نتأمل السماء. أخبرنا نيلسون بعض الألفاظ عن الأعاصير وأعين الأعاصير، فضحكت الفتيات كثيرًا، ووجدنه مثيرًا. أدارت والدتي ظهرها إلينا، وأمسكت بسور الشرفة في هدوءٍ وهي تتطلع نحو الغرب، ثم التفتت فجأة، وألقت قصيدتها المفضّلة لووردزورث. كنت قد سمعتها من قبل، لكنها مزّقت نياط قلبي هذه المرة.

إنها لأمسية جميلة، وهادئة، وطيقة

والوقت المقدس هادئ كراهبة

خطف التبتل أنفاسها، والشمس العريضة

تغوص في سكونها

ورقة السماء تخيم فوق البحر

أنصتي! إن الكائن العظيم مستيقظٌ،

وبحركته السرمدية يُحدث

صوتًا كالرعد، إلى الأبد

أيتها الطفلة العزيزة! أيتها الفتاة العزيزة التي تسير بصحبتني هنا

إذا بدوتِ كأن لم يمسك الفكر الجليل
فإن هذا لا يجعل طبيعتك أقل قدسية
أنت ترقدين في حضن إبراهيم طوال العام
وتتعبدين في ضريح الهيكل الداخلي
ويكون الرب معك من دون أن ندري
قال نيسلون:

- مهلاً، هل سمعتن ذلك؟

نظر نحو الفتيات، وواصل قائلاً:

- هل سمعتن ما ألقته الجدة؟ يا إلهي!

صفقت الفتيات، وسألنها عمّا إذا كانت أغنية أم ماذا. رفعتُ زجاجتي
واقترحتُ نخباً جديداً، قلتُ:

- في نخب ثمالة الحياة!

في إشارة إلى قصيدة أخرى كانت والدتي تلقيها أحياناً، لكنها كانت
إشارة أيضاً إلى العبارة المستوحاة من ألفريد لورد تينسون، والمسطورة
تحت صورة والدتي في الكتاب السنوي القديم لمدرستها الثانوية: «لوتي
تجرع كأس الحياة حتى الثمالة!». غمزتُ لي والدتي بعينها.

قالت نورا:

- في نخب ماذا؟

كانت الفتيات بحاجة إلى التبول، فاقترحتُ عليهن التبول في كوب
وسكبه تحت الدرج الأمامي لإبعاد الظربان، مثلما أوصى طاقم العمال.
قالت نورا لصديقاتها:

- لا تقلقن بشأن والدتي، إنها من الهيبيز، عندما كانت طفلة، لم يكن لديها ما تلعب به سوى الريح. لا حاجة بكن للتبول في كوب؛ لدينا حمام. تجاذب نيلسون ووالدتي أطرافَ الحديث لبعض الوقت عن الشعر، وقوة البحار، والفيضانات الجارفة، والتيارات الخفية، وقوتهم غير المرئية. ابتعدت الفتيات في النهاية واختفين في ظلمة الليل. نزلتُ إلى الطابق السفلي، وألقيتُ نظرة أخرى على الجزء الخاص بوالدتي من المنزل. كانت قد أصرَّت على إزالة جميع القضبان من على النوافذ. أبدى طاقم العمال تردُّدهم إزاء ذلك، إذ أحسُّوا بالقلق بشأن سلامتها في الطابق السفلي. قالت:

- لن أعيش في سجنٍ؛ سترال القضبان.

عدتُ إلى غرفة معيشتها. تناولتُ قلمَ رصاصٍ من حقيبة ظهري، وصعدتُ سلم نيلسون حتى قمته، وكتبتُ على جزءٍ من السقف سيقوم بطلائه قريباً، ربما حتى في وقتٍ لاحقٍ من تلك الليلة: «ك. أ. ض.» نزلتُ من السلم، ثم ناديتُ والدتي قائلة إن علينا أن ننال قسطاً من النوم. ستصل الشاحنة التي تحمل متعلقات والدتي من وينيبيج صباح الغد، وسنشرف أنا وهي على النقل، ونوجّه العمال إلى أين يضعون الأشياء وفي أي غرفة، وكيف يرْكَبون بعض قطع الأثاث. بعدها، سنبقى هنا ونعيش في هذا المكان.

ارتدت والدتي رقعة على إحدى عينيها. جلستُ في غرفة مليئة بكبار السن الذين يرتدون جميعاً رقعة على إحدى أعينهم. جئتُ لاصطحابها.

رَحَّبَ بي رجلٌ في مؤتمر القراصنة. كانت العين اليسرى هي المغطاة برقعة لدى الجميع. كنَّا في غرفة في مركز سانت جوزيف الصحي في تورونتو. وجدتُ والدتي مستغرقة في الحديث مع زوجين يرتديان سترات واقية متطابقة، فلَوَّحت لي للقدوم كي تعرِّفنا إلى بعض. أوضحت لي أن الطبيب المختص بالمياه البيضاء يجري جميع العمليات في العين اليسرى في أسبوعٍ، ثم يجريها في العين اليمنى خلال الأسبوع التالي. أعطوها ست زجاجات صغيرة من قطرات العين، مع تعليمات استخدامها.

على مدار الأسبوعين المقبلين، ستناوب أنا ونورا وضع القطرات بعينيهما. تخلَّلت أيامنا جلسات وضع القطرة هذه. بين قطرة وأخرى، علينا الانتظار بضع دقائق حتى تتشرب عين والدتي القطرة. عزفنا ثنائيات صاخبة على البيانو لتمضية الوقت خلال فترات الانتظار، وكان عزفنا سريعاً للغاية. أحياناً كنَّا نعزف ترانيم والدتي المفضلة، مثل «أبناء الأب السماوي»، لكن بسرعة فائقة، مما دفعها إلى الضحك. تستطيع نورا عزف أغنية «في مكانٍ ما فوق قوس قزح» في أقل من عشر ثوانٍ، كما تستطيع عزف مقطوعة ساراباندي هاندل بسرعة أكبر حتى.

سنة أنواعٍ مختلفة من قطرات العين، نقطتان، أو أربع، أو ست نقاط من كل زجاجة، ثلاث دقائق بين قطرة وأخرى، أربع مرات يومياً! نأتي إلى والدتي بالزجاجات الصغيرة، فتخلع نظاراتها بانصياعٍ، وتميل برأسها إلى الوراء، وتدفع شعرها الأبيض الناعم بعيداً عن عينيها. عندما تنتهي، تجلس أمام الكمبيوتر وتلعب سكرابل بينما تنسال على وجهها الدموع الطبيعية والصناعية.

أقول لها:

- هدوء لا يُقهر.

تكرر قائلة:

- هدوء لا يُقهر.

أقول:

- سوف تنتصرين.

تجيبني قائلة:

- سوف تنتصرين.

قبل يومين، عادت والدتي إلى المنزل بعد التمشية في الحي، ومعها أخبار جعلتها في حالة مزاجية مبتهجة.

قالت:

- لقد اكتشفتُ شيئاً ما. ذهبتُ إلى دار الجنازات الكائن عند الناصية، واكتشفتُ أنه يمكن حرق جثتي مقابل ألف وأربعمائة دولار، يشمل هذا السعر كلَّ شيء، كما أن لديهم خدمة من الباب إلى الباب؛ سيأخذون جسدي ويعيدونه في جرة.

أرتني حذاءها الجديد، كان زوجاً عالي الجودة من الجلد الأسود، اشتريته من متجرٍ عصري في كوين ويست. ليست والدتي من ذلك النوع الذي يتبع أحدث الصيحات، كما أنها ليست خبيرة في الموضة، بل هي امرأة مينوناتية قصيرة بدينة من البراري، في السادسة والسبعين من العمر، عاشت معظم حياتها في واحدة من أكثر المدن الصغيرة محافظة

في البلاد، تعرضت لصدمات الحياة مرارًا وتكرارًا، وانتقلت فجأة إلى القلب العصري لأكبر مدينة في البلاد، لتبدأ، كما يقولون، فصلًا جديدًا من حياتها. لا تعرف أي شخص في تورونتو، لكنها تحب فريق «تورونتو بلو جايز»، الأمر الذي يربطها بالغرباء من جميع الأنواع. إنها التجسيد المطلق للصمود، والروح الرياضية الطيبة.

بدأت في إعداد قائمة سلبية بالمتاجر والمقاهي في كوين ويست، هنا في «منطقة الفن والأزياء»، الذين يعاملونها بدرجة احترام ومودة مهنية أقل من تلك التي يعاملون بها عملاءهم الأصغر سنًا والأكثر أناقة. لا تلاحظ والدتي ذلك حتى، إذ إنها مرحة وفضولية وسعيدة، وغافلة عن التعالي. وهي صاحبة بعض الشيء، بسبب ثقل سمعها البسيط، كما تضحك كثيرًا، ولديها تساؤلات عن كل شيء، ولا تتخرج من السؤال. لا يوجد في ذهنها أي سبب يمنعها من الاحتفال كل ليلة في الأسبوع بصحبة مجموعة من طلاب السينما الذين يتمتعون بالجمال، ممن يقضون وقتهم في حانة «ذا كوميونستس دوتر». إنها تمثل نقيض ما يود جموع الذين يرتادون منطقة كوين ويست أن يكونوا عليه. فهي تشعر بالراحة وهي ترتدي سروالها القطني القصير الواسع ذا اللون الوردية، والقميص الذي فازت به في بطولة سكرابل في رود آيلاند. وهي تريد مشاركة الحديث مع بائعي التجزئة النحاف الشاحبين هؤلاء، وترغب في معرفة حكاياتهم، ومن أين جاءت البضائع، وكيف يتم انتقاؤها، وكيف يرتدي المرء هذا، أو يغسل ذلك. تحاول معرفة المزيد عن سكنها الجديد، والتعرف على عالمها، مما يجعل معاملتهم الباردة لها أكثر إيلاّمًا. بعد ذلك، أقرّر مقاطعتهم إلى الأبد، وكذلك تفعل نورا، على الرغم من أن ذلك يؤلمها بعض الشيء،

لأنها شابة رائعة وعصرية للغاية، وتود زيارة هذه المتاجر بين حين وآخر. لكن مهما يكن، سوف نسدد لكم ضربة، أيها المتكبرون.

باتت والدتي على صداقة بالفعل مع عامل التنظيف الجاف في شارع كينج، الذي يعرفني فقط بصفتي ابنة لوتي، وتتبادل الحديث كل صباح مع كليف، الرجل الذي يلوح لها من الجهة المقابلة من الطريق. حتى إنها عرضت أن تمنحه هو أو أبناءه أريكتي. جاء إلى بابنا هذا الصباح ثلاثة رجال ضخام الجثة، أحدهم مصابٌ بجرحٍ جديدٍ على أنفه، وقالوا لي إن لوتي أخبرتهم أن لديّ أريكة لهم، قلت لهم:

- لا، ليس لديّ، إنه سوء تفاهم.

قلت لها بعد ذلك:

- هل يمكنكِ الامتناع عن توزيع أغراضي؟

مرّاً أمام منزلنا رجلٌ يرتدي قميصاً، وربطة عنق، وسترّة، وجوارب، وحذاء، وقبعة، لكنه كان من دون سروالٍ، ومن دون ملابس داخلية حتى. شاهدته والدتي، فهرعت إلى غرفة نومها لتجلب زوجاً من سراويلها الرياضية كي تمنحه إياه. شكرها، ثم لفّه حول عنقه كوشاحٍ منفوشٍ، فقالت له:

- حسناً، هذا أيضاً سيفني بالغرض.

عندما سألتها عمّا إذا كانت ستفتقد ذلك السروال المريح، قالت لي إنها ستكف عن توزيع أشياءي، لكنها ستفعل ما يحلو لها بأشائها.

كما انضمّت أيضاً إلى كنيسة مينوناتية في شارع دانفورث، وقد طلبوا منها أن تصبح أحد شيوخ الكنيسة. سألتها:

- هل هذا منصبٌ رسمي؟ أأست كذلك بالفعل؟ أنت كبيرة في السن.

أوضحت لي أنه لا يوجد سوى ثلاثة شيوخ في الكنيسة، وأنه يشرّفها للغاية كونهم طلبوا منها ذلك. في بلدنا الصغيرة في إيست فيليدج، لم يكن ليُطلب أبدًا من امرأة أن تصبح من شيوخ الكنيسة. لم يكن ليُطلب من المرأة أي شيء (أو لم تكن ستؤمر بأي شيء) سوى إغلاق فمها، ومباعدة ما بين ساقها. ستفكر في الأمر بعض الوقت. تنتقل في أرجاء المدينة بالمواصلات العامة، لزيارة أشخاص غربيي الأطوار قعيدي منازلهم، تابعين لكنيستها، تغني معهم الترانيم، وتساعدهم على إعداد وجبات الطعام، وتضحكهم، وتحاول أن تكون مفيدة. أتى أشخاص من رعية الكنيسة، وزرعوا بعض الأشياء في حديقتنا الأمامية البشعة: زهورًا، وشجيرات، ونباتات معمرة، وبعض الصخور للزينة. كما نشر ألكسندر، جارنا، رقائق الخشب في جميع أنحاء الحديقة أيضًا، لذا صار منزلنا نوعًا جميلًا من أنواع المشاريع المجتمعية.

لا نتحدث عن سويسرا، وما إذا كان ينبغي لي اصطحاب شقيقتي إلى سويسرا لمساعدتها على الموت. أنا على يقين من أن ألف لم تذكر أمر سويسرا لوالدتي قط، ولا تواتيني الجرأة لسؤالها عن ذلك. في المساء، بعد الانتهاء من أعمالها الخيرية، تصب والدتي لنفسها كأسًا كبيرًا من النبيذ الأحمر، وتشاهد فريقها المحبوب، «تورونتو بلو جايز»، وهو يتعرض للهزيمة الساحقة مرة أخرى. نسمعها أنا ونورا من الطابقين الثاني والثالث وهي تصرخ في تلفزيونها في الطابق الرئيسي: «فلتجعله يعود إلى

المنزل! زاحمه، يا رجل!». لا يطرف لنا جفنٌ، إذ إننا اعتدنا ذلك. لطالما كانت من مشجعي فريق «بلو جايز»، وتعرف كل الإحصاءات والحكايات الخاصة بجميع اللاعبين: «حسنًا، هذا الرجل أصيب بتمزق في عضلات الكتف، وذلك الآخر يرمي بصورة سيئة للغاية، أما هذا فقد كانت نتيجة اختباره إيجابية لشيء ما أو لآخر. وذلك اللاعب البديل الذي اشتروه؟ حسنًا، إنه على قائمة المصابين لإصابته بشدٍّ في عضلات الفخذ! إنهم يجلبونهم من رابطة هواة الرياضة!».

خرجت والدتي فيما يشبه الموعد الغرامي، قبل بضعة أسابيع. قالت لزميلها العجوز، كما أطلقت عليه (أعتقد أنه يصغرها بعشر سنوات)، أنها تودُّ تناول كأسٍ من النبيذ في مكان ما - اكتسبت عادة شرب النبيذ هذه سريعًا في تورونتو، وصارت تشتري مؤخرًا نوعًا من نبيذ ميرلو على زجاجته ملصق مكتوب عليه «تجرباً!» - ثم حضور مباراة لفريق «بلو جايز» بعدها. دعنتي لمرافقتهما، وقضيتُ الوقت بأكمله في الحديث مع الرجل الذي لم يكن مهتمًا باليسبول بدرجة كبيرة، لكنني اكتشفت أنه يدخن سيجارتين من الماريجوانا يوميًا بسبب التهاب المفاصل الشديد الذي يعاني منه. قلتُ لها:

- أنتِ تواعدين مدمن ماريجوانا.

في تلك الأثناء، راقبتُ والدتي المباراة كما لو أنها كشافٌ للاعبين، وقد انحنت للأمام بعينين حادتين، تسجل في برنامجها الخاص بالمباراة كل شيء، من الضربات المسجلة والضائعة، والنقاط، والأخطاء المُرتكبة. عندما حاول الرجل الحديث إليها، لسؤالها عما إذا كانت ترغب في تناول

الهوت دوج أو ما شابه، صرخت قائلة:

- هيا، أيها الحكم، استيقظ! ما هذا الذي تفعله، يا سنايدر؟ لقد خرج لاعبان، وجميع القواعد محملة باللاعبين!

بعد انتهاء المباراة، وبعد أن أوصلنا رفيقها إلى مكانٍ ما في الطرف الشرقي من المدينة، سألتها عن طبيعة عمله، فقالت إنها لا تعرف حقاً، لكنه اشترى لنفسه هاتفًا جديدًا للتو، لذا لن يعود مضطراً إلى الاتصال بها من هاتفٍ عمومي بعد الآن. قالت:

- إنه يذهب إلى جامعة تورونتو.

قلت:

مكتبة

t.me/soramnqraa

- رائع، لماذا؟

أجابتني:

- كي يستحم.

نزلتُ في وقتٍ متأخرٍ من الليلة الماضية كي أُلقي عليها التحية، ولم تكن موجودة هناك. وجدتُ رسالة على الطاولة، كتبتُ فيها: «يولي، ذهبتُ إلى محاضرة عن إريتريا. هناك حساء فاصوليا خضراء، وكرنب مطهو في الثلاجة». اتصلتُ بها على هاتفها المحمول، وعندما ردّت أخيراً، سمعتُ أصواتاً صاخبة وصيحاتٍ في الخلفية. سألتها:

- أين أنتِ؟ لقد تعدّت الساعة الحادية عشرة.

قالت:

- انتظري لحظة. يا رفاق، أين أنا؟

سمعتُ رجلاً يرد عليها، وأخبرتني أنها في مقهى «ذا موتور سايكل»
عند تقاطع شارع كوين مع شارع ما آخر، تتناول برجر وتشاهد المباراة.
كانت هناك أشواط إضافية. سألتها:

- هل أنتِ بمفردك؟

قالت:

- لا، لا، هناك حشدٌ كبيرٌ من الناس هنا.

ثم تعالى مزيدٌ من الصياح والضحكات، حتى لم يعد بوسعي سماعها
على الإطلاق.

جلستُ على أريكتي، التي حاولت والدتي أن تعطيها للجيران،
وبدأت الدموع تلسع عيني. تكون في أسوأ حالاتك حينما لا يعود
بمقدورك الاعتماد حتى على دموعك كي لا تؤلمك. ذهبتُ إلى البيت
المجاور لزيارة الجارة الأخرى، اسمها إيمي، وهي أم جديدة، أراها كل
يوم تقريباً، وهي تصطحب طفلها وتخرج للتمشية. قبل شهر، عثرتُ
على زرزور ساقط على الرصيف، وأخذته معها إلى المنزل لرعايته حتى
يتعافى. بنْتُ له بيتاً صغيراً في غرفة نومها الخلفية، به غصن شجرة،
وطبقٌ مملوءٌ بالمياه. كما وضعت ديدان أرض حية في طبق مليء
بالتربة، وأطعمته طعام أطفال وصلصة تفاح، على طرف عصا خشبية
صغيرة، وشغلت له أغاني طيور الزرزور حتى يتمكن من الغناء بلغته.
بعد قرابة ثلاثة أسابيع من العناية به، قررت أن الطائر يمكنه العيش بمفرده
الآن، وأن عليه مغادرة العش الذي صنعه له، ففتحت باب غرفة نومها

الخلفية، وقفز الزرزور على كتفها، ثم سارا عبر ممر الطابق العلوي، وهبطا الدرج، وعبرا ممر الطابق السفلي تجاه الباب الخلفي المفتوح. ثم رأى الطائر فرصته فجأة، ممثلة في مستطيل الضوء القادم عبر الباب المفتوح، فانطلق طائراً. ناولتني إيمي هاتفها المحمول وقالت:

- هل تريدان رؤية الطائر وهو يطير مبتعداً؟ لقد صوّره زوجي.

كان الطائر عبارة عن بقعة ضبابية صغيرة داكنة تحلق في الجو باتجاه الضوء، ثم اختفى. تحرك بسرعة فائقة للغاية. عندما شاهدتُ هذا الفيديو القصير، تحطّم شيءٌ ما داخلي. كان رحيل ذلك الزرزور مفاجئاً للغاية، من دون رجعة. شرعتُ في البكاء، على الرغم من أنني حاولت الامتناع عن ذلك، وشعرتُ كما لو أنني تعرضت للغاز المسيل للدموع.

أطالع الآن صندوقاً مليئاً بالبطاقات التي أرسلتها ألف على مرّ السنوات. لم تنسَ أي مناسبة، وكتبتهم جميعاً بأقلام التحديد الملونة المميزة لها. فكرتُ: «انظري لكل علامات التعجب هذه». كل هذه المناسبات - أعياد الميلاد، والكريسماس، والتخرج - التي ختمتها بنهايات لافتة للنظر. ثم نعيد الكرة. نعيد الترتيب، ونبدأ من جديد، المرة تلو الأخرى. نجتمع في الملعب ونحيط بعضنا بأذرع بعض، وتتصادم خوذتنا، ونعيد صياغة استراتيجيتنا، ثم نلعب جولة أخرى. عندما كنت طفلة، قلت لألف (أم هل قلت لنفسِي؟) إنني سأحافظ على قلبها آمناً. سابقيه محفوظاً إلى الأبد في كيسٍ من الحرير مثلما فعلت ماري شيلي بقلب زوجها الشاعر الغارق، أو في حقبتي الرياضية، أو في الدرج العلوي

من خزانة ملابسي، أو مدسوسًا داخل تلك الفجوة في الشجرة العتيقة في حديقة باركمان في بلدتنا البعيدة، حيث كنت أخفي سجائري. أفتش الآن في أرجاء المنزل عن أقلام التحديد الملونة تلك. إذا تمكنت من العثور على القلم الوردي والقلم الأخضر، فسأكون بخير حتى الصباح. أبحث، ثم أتخلى عن البحث.

إن الحياة مع والدتي تشبه العيش مع ويني ذا بو، فهي تخوض مغامرات عديدة، وتورط نفسها في المشاكل وتخرج منها بسذاجة، وكل هذه المغامرات تصحبها بضع عبارات من الفلسفة اللطيفة. دومًا ما يكون هناك مزيدٌ مما يمكنك تعلمه في كل مرة تعلق فيها رأسك داخل جرة العسل، إذا كنت تشبه والدتي.

أمضت الليلة الماضية بأكملها خارج المنزل، ثم أتت هذا الصباح عند الباب الأمامي - كانت قد نسيت مفاتيحها - وشعرها مهوش، وقميص نومها مدسوس في سروالها. قالت:

- أوه، جيد، أنت مستيقظة! لقد نسيتُ مفاتيحي.

كانت قد عادت للتو من عيادة النوم حيث أمضت ليلتها تحلم، والأقطاب الكهربائية موصلة برأسها. غضبتُ منها العاملة الفنية المسؤولة لأنها كانت تقرأ كتابها. أخبرتُ والدتي أنها موجودة هناك لتنام، لا كي تقرأ، فقالت لها والدتي إنها لا تستطيع النوم من دون أن تقرأ أولاً. طلبتُ العاملة الفنية من والدتي أن تسلمها الكتاب - كان رواية لريموند تشاندلر - فضحكت والدتي وقالت:

- لا بُدَّ وأنت تمازحينني، أسلمك كتابي؟ مستحيل.

بعد ذلك عاملتها العاملة الفنية بخشونة نوعًا ما، وانتزعت الأقطاب الكهربائية المستديرة اللزجة من رأسها في الصباح من دون أن تودّع والدتي عند رحيلها. ثور ثائرة والدتي عندما لا يقول الناس «مرحبًا» و«وداعًا». تقول إن ذلك من التقاليد الراسخة، وإن امتناع الناس عن الترحيب والوداع ينذر بانهايار الحضارة.

قالت والدتي:

- على ما يبدو، توقف قلبي عن الخفقان تسعين مرة خلال نومي.

قلت لها:

- أنت تعانيين من انقطاع النفس في أثناء النوم.

قالت:

- يبدو ذلك جليًا.

نظرتُ إلى نفسها في المرآة، وضحكتُ لانعكاسها.

أرتني الجهاز الذي ستضطر إلى النوم به الآن، وهو قناع بلاستيكي ضخم به خرطوم، ستثبته على وجهها، ثم تستنشق الرطوبة المنبعثة من جهاز مثبت بالقناع. علينا تجهيز أباريق من المياه المقطرة كي نبقى الجهاز ممتلئًا. وضعتُ القناع على وجهها، ثم سارت نحوي بتناقل مثل دارث فيدر، وقالت بصوتٍ مكتوم:

- إذا اقتحم شخصٌ ما غرفتي وأنا أرتدي هذا الشيء، فلن يبقى طويلًا.

ثم أخذتُ نفسًا عميقًا من خلف البلاستيك، فامتلاً بالبخار المتكثف. انتزعته عن وجهها، وقالت:

- من المؤسف أنني لم أعد أرثدي رقعة العين، كنت سأصبح قوة لا تُقهر بسهولة، أليس كذلك؟

فتحتُ جهاز الكمبيوتر المحمول خاصتها، كي تلعب مباراة سكرابل سريعة على الإنترنت. كان آخر شخص لعبت معه رجلاً من فرنسا، عرض عليها أن يريها صوراً لعضوه الذكري، فكتبت له قائلة: «لا، شكرًا، هل لديك صورٌ لباريس؟».

أدركتُ شيئاً للتوّ. لستُ أنا من نجوتُ، ومضيتُ قدماً وواصلتُ الطريق، وأنقذتُ والدتي بإحضارها إلى تورونتو، بل والدتي هي من فعلت... وقد اصطحبتني معها.

لذا قلت:

- هل راودتكِ أي أحلام في عيادة النوم؟

قالت:

- يا إلهي! لقد حلمتُ بالفعل. نعمتُ بلحظة تجلي.

قلت:

- حقاً؟

- حسناً، أتعلمين كم أكره الطهي بشدة؟

- بلى.

- حسناً، كنتُ أتساءل عن ذلك، وعما يتعين عليّ القيام به حيال هذا الأمر. لذا راودني هذا الحلم خلال الليلة الماضية، وطرأ عليّ الحل، الأطعمة المجمدة! كان هناك مجرد صوتٍ أخبرني بذلك. هكذا اكتشفتُ

من خلال حلمي أن عليَّ التوجه إلى قسم الثلاثجات، وشراء الكثير من الأطعمة المجمدة، سواء البيتزا أو كرات اللحم أو المعجنات أو أصابع الدجاج أو ما شابه، كي أملأ برادي، وستكون هذه هي نهاية الأمر. لن أضطر إلى القلق بشأن الطهي، لكن سيظل لديّ طعام لأتناوله. طرأت عليَّ الفكرة كما لو كانت لوحة إعلانات: الطعام المجمد!

قلت:

- يبدو ذلك جيداً للغاية.

كانت والدتي تحلم بالنجاة، وتراودها أحلامٌ متعلقة بالخلاص، تخبرها كيف تبقى على قيد الحياة. لن أخبرها أن الأطعمة المجمدة مليئة بالكبريتات، فمن عساه يكثرث لذلك، طالما أنها مقتنعة تمامًا بالعلاج.

راودني حلمٌ خاص بي. لم يكن متعلقاً بموضوع سويسرا. كنّا أنا وألفريدا في مطبخها الأصفر، بجوار النافذة الضخمة، نتبادل الحديث والضحك على لا شيء. ضللنا طريقنا فحسب على نحو لطيف وسط متاهة من الكلمات التي لا تعني الكثير، نقصُّ الحكايات وندفع بعضها إلى الضحك. كنّا هناك، لكن بعدها في الحلم، أردتُ إخبار ألف بشيء أكثر إلحاحاً، شيء متعلق بعملتي، وبخوفي من إنهاء كتابي، ومن الاستقبال الذي سيلقاه. ثم حلت لحظة صمت في ثرثرتنا، وشرعتُ ألف تتأهب، وفكرتُ أن عليَّ إخبارها بهذا الأمر الملح الآن، لكنها رفعت يدها لتمنعني، فأبقيت فمي مغلقاً. تناولتُ يدي ونظرت إليَّ بتمعن، وقربت وجهها من وجهي كي أفهم حقاً ما كانت على وشك قوله، وأنها تعنيه بالفعل. شكّلت رموشها

إطارًا داكنًا، وبدت جادة تمامًا. فكرتُ: «حمدًا للرب، ستقول شيئًا يشعرنني بأنني أفضل، وأشجع»، لكنها قالت: «يويو، لقد صرت بمفردك الآن». وكان شعوري في الحلم هو نفس الشعور الذي راودني عندما شاهدت فيديو طائر جارتني: المفاجأة الشديدة، عندما يضيع شيء في ثانية، إلى الأبد. بدت شقيقتي بقعة ضبابية داكنة، تتجه نحو مستطيل من الضوء. لكن الآن، وعقب الاستماع إلى حلم نجاة والدتي، أعتقد أن هذا قد يكون حلم نجاتي الشخصي، وليس كابوسًا. إنها بداية علاجي أنا، لأنه كي ننجو من شيء ما، علينا أولاً أن نعرف ماهية الشيء الذي نحاول النجاة منه.

في أيام الجمعة، نعقد اجتماعات عائلية. في بعض الأحيان، لا تحضر نوراً هذه الاجتماعات العائلية لأن لديها أشياء أفضل تفعلها. لديها أندرس، كما أن هناك الحفلات، وهي لا تزال شابة، لذا نعطيها محضر الاجتماعات. لم أعد أقيم علاقات عشوائية مع الرجال، إذبت أتحرج من ذلك، ولم تعد ألفت موجوداً لتذكيري بأنني لست ساقطة، وأن ذلك الشيء ليس له وجودٌ. «حسنًا، يا يولي. ألم أعلمك أي شيء على الإطلاق؟ أرجو أن تتوقفي عن مساواة الأخلاق بالمفاهيم الأبوية الأنانية التي عفا عليها الزمن، فيما يتعلق بالنشاط الجنسي للمرأة».

اتصل فينبار ليسأل عما إذا كنتُ قد قتلتُ شقيقتي، وكنتُ بحاجة إلى مستشارٍ قانوني، فأجبتته بالنفي، قائلة إنها وفرت عليّ مشقة ذلك. اعتذر، إذ لم يكن يعلم أن الوضع يمثل هذه الدرجة من الخطورة، وقال إنه آسف. شكرته، فقال:

- لكن كان لدينا شيء ما، أليس كذلك؟

أعجبتني الطريقة التي عبر بها عن الأمر، ربما كانت مجرد هلاوس، لكنها كانت شيئاً ما. قلت بلى، وشكرته مرة أخرى، ثم ودعنا بعضنا إلى الأبد، وتصرفنا كالبالغين. أعيش مع والدتي وابنتي. نقف على شرفاتنا المختلفة، في جميع الطوابق الثلاثة، ونصيح ونحن نتحدث إلى بعضنا، مثل النساء المدخنات في مسرحية «بالكونفيل». ليس لديّ وقتٌ لإقامة علاقات عشوائية. لديّ حيوانات الراكون، والأحلام، ومسدسات الماء، والحزن، والخنادق السامة، والشعور بالذنب، والواقى الذكري المستخدم الذي يتعين عليّ التقاطه من الممر.

قالت والدتي إنه لا يمكنني ربط الحزن مثل الواقى الذكري المستخدم، وإلقاؤه في القمامة. سألتها عمّا تعرفه عن الواقى الذكري، فأخبرتني بأنها عملت لفترة طويلة عاملة اجتماعية، وهو ما تقوله دومًا بعد أن تفاجئنا بمعلوماتٍ لم نكن نعتقد أنها تعرفها. سرتُ بالأمس في حديقة تريبنتي بيلوودز، ووجدتُ والدتي مستلقية على أحد المقاعد وهي مستغرقة في النوم. جلستُ بجوارها بعض الوقت، وقرأتُ الصحيفة. بعد عشر أو خمس عشرة دقيقة، وكزتها برفق، وقلتُ:

- حان وقت العودة إلى المنزل، يا أمي.

أخبرتني بأنها تحب النوم في الهواء الطلق، فقلت:

- هل هذا صحيحٌ، أم أنك خرجت للتمشية وغلبك الإرهاق فجأة؟

أعطتني شقيقتي سلم طوارئ ذات مرة، كان من ذلك النوع من السلالم الذي تعلقه بحافة نافذة الطابق العلوي، ثم تنزل من عليه في حال

وقوع حريق بمنزلك. خزنته في البدروم لسنوات طويلة، لكنني بدأت أفهم الآن الحكمة من إبقائه في الطابق الثاني.

اتصلت بالمستشفى في وينيبج، وسألتُ عمًا إذا كان بإمكانني رجاء التحدث إلى المريضة ألفريدا فون ريزين، فأخبروني بأنها ليست مريضة هناك. قلتُ للمستشفى:

- حسنًا، هذا غريبٌ، لأنها كانت بالقطع مريضة لديكم، وآخر ما سمعته هو أنها لن تغادر المستشفى في أي وقتٍ قريبٍ.

أجابوني بأنه ليس لديهم أي معلومات بخصوص ذلك، فأخبرتهم بأنني سئمت كلَّ تكلفهم في الحديث، فأبدوا أسفهم لذلك وأنهوا المكالمة.

بعد ذلك، أوشك عيد الميلاد على الحلول، كان نيك سينضم إلينا. اتصل هاتفيًا من وينيبج، وقد طرأت عليه فكرة لشاهد القبر: «وأرقد، كما رقدتُ بوداعة في طفولتي، لا أزعج أحدًا، ولا يزعجني شيء في مرقدي، والعشب من تحتي، وفوقي القبة السماوية».

قلت:

- ما هذا؟

قال:

- ألا تعرفين؟

قلت:

- لا أعرف كل القصائد.
- إنها من تأليف جون كلير.
- هل كانت ألف تحبه؟
- كانت تحبه كثيرًا. عنوان القصيدة «أنا!»، كتبها وهو في مصحة عقلية.

قلت:

- مستحيل.

- معذرة؟

قلت:

- دعنا لا نربط كل شيء بالجنون.

- أتعنين فيما يتعلق بشاهد القبر؟

- فيما يتعلق بكل شيء.

- حسنًا، هل لديك اقتراحات؟

عندما عدتُ إلى تورونتو عقب وفاة ألف، أردتُ أخذ بعض رمادها معي كي أحتفظ به هنا، لكن نيك لم يحب فكرة تقسيمها، لذا دُفن الرماد كله تحت شجرة ضخمة في مقبرة إيلموود في وينيبج. اقترحت والدتي أن تُدفن مع والدنا في إيست فيليديج، فقال عامل المقبرة إن هذا ممكن، وإن هناك متسعٌ لثلاثة، إذا كانت جرارًا لا تواييت (ملمحًا إلى أن والدتي سينتهي بها المطاف هناك هي الأخرى)، لكن نيك قال إن هذا محال، وإن ألف عبّرت صراحة عن رغبتها في ألا تُدفن في إيست فيليديج. سيكون

ذلك بمثابة إعادة جثمان لويس رثيل إلى الحكومة الكندية على سبيل
التذكار. سألتُ نيك:

- ماذا عن حديقتك الخلفية؟ ففي النهاية، كانت تحب البقاء في
المنزل.

قال:

- هذا مضحك للغاية. هناك مشاكل قانونية متعلقة بالدفن في
الحديقة، فهي ليست قطعة.
قلت له:

- هذا صحيح.

أخبرني بأنني فعلتُ كلَّ ما بوسعي، وأن اللوم لا يقع على أحد. لم
أكن متأكدة من ذلك. تساءلتُ عن زيورخ. كانت ستموت بسلام، وهي
ليست بمفردها، كان ذلك هو كل ما تريده. لقد فشلتُ. لم نتحدث عن
ذلك. أخبرته بأنه هو أيضًا قام بكل ما يمكن عمله.
قلت:

- هي التي حصلت على تصريح الخروج. أنت تعرف طريقتها، كان
بوسعها إقناعهم بالسماح لها بالخروج من المستشفى.
قال:

- لكن كان عليّ بذل جهدٍ أكبر كي أجعلهم يبقونها في المستشفى.

- لم يكن بوسعك بذل جهدٍ أكبر من ذلك.

- إذن لن نستخدم قصيدة جون كليز؟

- ربما. لكن لا تعجبني دلالاتها المتعلقة بمستشفى الأمراض

العقلية. علاوة على ذلك، إذا كنّا سنستخدم أبياتًا شعرية، فيجب أن تكون لامرأة شاعرة.

- لكن معظم الشاعرات العظيمات حقًا قتلن أنفسهن، ولهذا دلالاته أيضًا.

- أعرف، وهذا هو ما نحاول تفاديه هنا، أليس كذلك؟ وصمها حتى بعد الموت.

- أجل، صحيح. إذن هل ستترك الشاهد فارغًا فحسب؟

- ربما، أجل. مجرد اسمها والتواريخ.

- ربما.

- إذن، فإن الفكرة الأصلية للقصيدة لا تزال سارية، رغم ذلك، بطريقة ما... دعني أرقد. دعني أرقد فحسب.

- تحت العشب، وقبة السماء.

سألني عبر الهاتف:

- هل تحلمين بها على الإطلاق؟

- أجل. هل تحلم بها أنت؟

- أجل، بشكلٍ غير مباشر، كما لو أننا في فصل الصيف، لكنه أبرد صيف على الإطلاق، أبرد من أي شتاء مررنا به. ما هي طبيعة أحلامك أنت؟

- حسنًا، حلمتُ الليلة الماضية أنني في قرية لصيد الأسماك، إحدى الموانئ الثانوية في نيوفاوندلاند أو ما شابه. واضطرتُّ إلى الذهاب

إلى محل البقالة لشراء بعض اللحم، وعندما وصلتُ إلى هناك، وجدتُ الأرض ترابية، وكانت هناك حملان مستلقية في كل مكانٍ. لم تكن صغيرة وبيضاء كما في الكتاب المقدس، بل بدت رمادية داكنة، وكانت كبيرة بحجم الكلب السلوقي، إلا أنها كانت حملانًا. كان بعضها ميتًا، والبعض الآخر على قيد الحياة بالكاد. كان هناك رجلٌ بحوزته سكين يحاول ذبحهم، لكنه لم يعرف حقًا كيف يفعل ذلك. أخذ يقطع حافرًا، أو ذيلًا، أو ربما خطمًا. لم يعرف ماذا يفعل. وقفتُ هناك أتأمل الحملان فحسب، ثم قال إنه سئم الأمر. بعدها قطع جزءًا واحدًا إضافيًا، وقال لا، بل إن السكين هي التي سئمت الأمر، كما لو كانت شيئًا على قيد الحياة تقريبًا، أو كما لو أنها لم تعد حادة فحسب، ولا يمكنها القطع كما يجب، لم أكن متأكدة.

قال نيك:

- ماذا يعني ذلك؟

قلت:

- لا أدري، يا كارل يونج.

لكنني كنتُ أعرف، كان متعلقًا بزيورخ.

قال نيك:

- أتعرفين؟ لديّ فكرة. لمَ لا نضع سطرًا موسيقيًا على شاهد قبرها،

من دون أي كلماتٍ على الإطلاق؟

تحدّثنا أنا ونيك عبر الهاتف فترة طويلة، بخصوص السطر الموسيقي الذي سننقشه على الشاهد، وطوال الوقت كنتُ أرغب في ذكر موضوع سويسرا، لكنني لم أعرف كيف أفعل ذلك. لأنني إذا أخبرته بأن ألف طلبت مني اصطحابها إلى سويسرا، سيكون ذلك بمثابة إخباره أنها لم

تشق به للقيام بذلك، أو أنه لم يفهمها، ولم أكن أريده أن يشعر بمثل تلك الأحاسيس، إذ إنه بات رجلاً وحيداً بالفعل. علاوة على ذلك، ما الهدف من ذكر موضوع سويسرا؟ كان عليّ أن أكتشف بنفسي ما إذا كنت الحمل، أم الجزار، أم السكين فحسب.

عندما كانت ألفي في الثانية عشرة من عمرها، تم اختيارها أخيراً لتلعب دور مريم في عرض كنيسةنا بمناسبة ميلاد المسيح. كانت فخورة، ومتوترة للغاية. ظَلَّتْ تضغط للحصول على دور مريم طوال سنوات: «هيا، لقد خُلق هذا الدور خصيصاً من أجلي!». لستُ متأكدة ما إذا كانت معلمتنا بمدرسة الأحد قد اقتصت بذلك أخيراً -عذراء في العشرينيات من عمرها لا تتحدث كثيراً- أم أنها سئمت من تعرضها للمضايقات من ألف، لكنها منحتها الدور، وقالت:

- لا أريد مفاجآت غريبة فحسب، رجاء.

كانت ألف تدرك مسؤولياتها جيداً، وأن عليها أن تكون رزينة وحنونة وهادئة، على الرغم من أنها حملت على نحوٍ غير تقليدي من قِبَل قوة غير مرئية، وعليها الآن تربية المسيح، وكل هذا بالأجر الذي يجنيه نجارٌ. كنتُ في السادسة من العمر، وكان من المفترض أن أكون راعي غنم، منفية في أحد الصفوف الخلفية حيث سيقف جميع الأطفال الصغار بمناشف الأطباق على رؤوسهم أو أجنحة ملائكة مثبتة على ظهورهم. أخبرتُ والدتي بأنني أرفض أن أكون راعي غنم، وأني سأكون شقيقة مريم، وخالة الرضيع. أخبرتني والدتي بأن الطفل يسوع لم يكن لديه خالة في مغارة الميلاد، وأن ذلك شيء بلا معنى، فقلتُ:

- لكنني شقيقتها.

قالت والدتي:

- أعرف هذا، لكن في الحياة الواقعية فحسب.

توقفتُ عن الحديث للحظة، ثم واصلتُ الجدل قائلة:

- لكن هل كان هناك «رجال حكماء» وجمال عند مولد يسوع، من دون وجود أي أقارب؟ هل هذا منطقي؟

قالت والدتي:

- أعلم هذا، لكن الكتاب المقدس يقول...

قلت لها:

- هذه المرة فقط، ألقي تحتاج إليّ. لديها طفلٌ جديدٌ، وأنا شقيقتها، لذا سوف أذهب.

لم تكلف والدتي نفسها عناء الجدل معي. ربتُ زبي الخاص بدوري كشقيقة وخالة، وكان عبارة عن ملاءة منقوشة بالزهور، وسرتُ إلى التدريبات مع ألف التي استشعرتُ بعض الحرج بسببي، لكنها اعتادت ذلك منذ وقتٍ طويلٍ، وتنهدتُ بضجرٍ مرة واحدة فقط. اتصلتُ مديرة العرض بوالدتي عدة مراتٍ للشكوى. أخبرتُ والدتي بأنها لا تستطيع إقناعي بالابتعاد عن جانب ألف، وأتني حشرتُ نفسي بينها وبين يوسف النجار، ورفضتُ التحرك، وأن الصبي الذي يلعب دور يوسف منزعجٌ للغاية بسبب ذلك. قالت إن يسوع ليس لديه خالة لحوحة، وأن هذا ليس مذكورًا في الكتاب المقدس، فقالت والدتي لمديرة العرض إنها لا تمتلك أي نصائح لتمنحها إياها. تمكّنتُ من لعب دور شقيقة شقيقتي، وحاول

الجميع جاهدين تجاهلي، لكنني كنت على دراية بوجودي، والأهم من ذلك أن أُلّف أيضًا كانت على دراية بذلك، وقد لعبت دورَ مريم الرزينة على نحوٍ رائعٍ، إذ جلستُ بوداعةٍ وقداسةٍ، بينما هرعتُ أنا هنا وهناك للتأكد من أن الرضيع يتنفس، وأن المهد آمنٌ، والقش مرتبٌ، وأن يوسف لا يطلق السباب بصوتٍ مرتفعٍ، وكل الأشياء التي ستفعلها الخالة الطيبة عندما تنجب شقيقتها طفلًا.

كان علينا إحضار شجرة لعيد الميلاد. توجهنا أنا ونورا إلى ساحة انتظار سيارات «نوفريلز» على الجهة المقابلة للطريق من مكتبة «رانيמיד» في شارع بلور ويست، واشترينا أكبر وأجمل شجرة في ساحة الانتظار. كانت الشجرة محاطة بأشرطة بلاستيكية مما جعلها نحيفة وسهلة الحمل، لكن الرجل الذي باعها لنا قال إنها ستنتفش حينما نُزيل الأربطة. ربطها على سقف سيارتنا، وأطلق عليها لقب «إفرست الأشجار». عُدنا بالشجرة إلى المنزل، وسحبناها إلى الداخل من خلال باب والدتي الخلفي، فشغلتُ غرفة المعيشة بأكملها. عندما خلعنا الأشرطة المحيطة بها، ظَلَّتْ تزداد حجمًا أكثر وأكثر. تطايرت أوراقها الإبرية في كل مكانٍ، وكانت ضخمة للغاية، لكننا أحببناها. جلستُ والدتي في كرسيها المريح تحيك لي كنزة سوداء بفتحة رقبة عريضة، بينما حاولنا أنا ونورا رفع الشجرة في مكانها. شغَلَتْ نورا ألبوم كانييه ويست الجديد على جهاز الكمبيوتر المحمول خاصتها. سألتها والدتي عن اسم الألبوم، فقالت نورا: «خيالي الجميل المظلم الملتوي». غنّت بعض كلمات الأغنية مع كانييه، فقالت والدتي:

- أنتِ لستِ وحشًا، يا عزيزتي.

قالت نورا:

- أعرف هذا، يا جدتي، شكرًا لك.

جلست والدتي في مقعدها المريح وهي منشغلة بالحياكة، وتومئ برأسها مع نغمات موسيقى كانيه.

أخذنا نحاول إيقاف الشجرة على منصتها من دون أن تنقلب جانبًا. وقفت نورا بتوازنٍ على ذراع الأريكة مرتدية قفازات جلدية، وهي تمسك بقمة الشجرة. أحاطت عنقها بخيوطٍ من أضواء زينة عيد الميلاد، جاهزة للتعليق، بينما استلقيتُ أنا على الأرض أحاول تثبيت تلك البراغي المعدنية في جذع الشجرة. جلست والدتي في مقعدها وظلّت تقول:

- إلى اليسار. إلى اليمين. الآن إلى اليسار. لا، إلى اليمين.

كان كانيه ويست يغني عمّا يحتاج إليه بشدة. لم نتمكن من ضبط وضع الشجرة، ثم ظننا أننا نجحنا.
قلت:

- اتركيها، يا نورا.

وتركناها أنا أيضًا. بدأت الشجرة تسقط ناحية اليسار، وأمسكتها نورا قبل أن ترتطم بالبيانو. ضحكت والدتي، كان هناك دقيقتان على جبينها وذقنها، إذ كانت تخبز الفطائر في وقتٍ سابق. استلقيتُ على الأرض مرة أخرى وأطلقتُ السباب، وأمسكتُ نورا قمة الشجرة بيديها المكسوة بالقفازات. قالت والدتي:

- إذا أرادت الشجرة أن تتكئ، فعلينا السماح لها بذلك.

قلت:

- ماذا؟ ندعها تتكىء على البيانو فحسب، ونتركها هكذا؟

قالت نورا:

- لا. هل رأيت من قبل أناسًا يدعون أشجارهم تتكىء على شيء؟ لم يحدث وأن رأيت ذلك.

ظللنا نحاول، ثم فكرنا أنه ربما يتعيّن علينا إحضار جبل وربط الشجرة بقضيب الستارة. يمكننا إخفاء الجبل، وجعله يبدو مناسبًا لعيد الميلاد بصورة أفضل.

قالت نورا:

- آه، جبل عيد الميلاد، تقليد عائلي جديد لآل ريزين.

قالت والدتي:

- إنها شجرة ضخمة حقًا، أليس كذلك؟

قلت:

- لنحاول مرة أخيرة.

عملنا بجِدٍّ كي نجعلها تنتصب قائمة بذاتها، من دون جبل. قلتُ

لنورا:

- تراجعني الآن.

ابتعدنا عن الشجرة بتمهل، وظلّت هناك واقفة بمفردها. يا للسعادة. نجحنا في القيام بشيء طبيعي. كان السقف مرتفعًا للغاية، إلا أن قمة الشجرة لامسته. تنفّسنا الصعداء. تأمّلناها لفترة، ثم قلت:

- حسنًا، أعتقد أن كل شيء على ما يرام.

قالت والدتي:

- لتتناول بعض النبيذ.

فتحتُ زجاجة، وذهبنا إلى طاولة غرفة الطعام، حيث جلسنا وشربنا نخب نجاحنا. رفعنا كؤوسنا عاليًا، وحتى نورا تناولت بعض النبيذ. قلنا بعض الأشياء عن عيد الميلاد، وعن أنفسنا، مثل «في نخبنا». تهذَّلت أكتافنا، وشعرنا بالفخر. غطتنا إبر الصنوبر، وعبقت الغرفة برائحة طيبة للغاية. نظرت والدتي إلى الشجرة. كنَّا أنا ونورا نوليها ظهرنا، ونحتسي النبيذ. ثم صرخت والدتي، فالتفتنا أنا ونورا بحركة بطيئة، وتعالى صوت كانييه مرة أخرى. راقبنا الشجرة وهي تقع ببطءٍ في البداية، كما لو أصابتها أزمة قلبية في مكانٍ عامٍّ ولم تكن ترغب في حدوث ذلك، لكنه وقع بالفعل. ثم تزايدت سرعتها، وبينما هي تسقط في اتجاه الباب، أطاحت بأشياء في طريقها: لوحة لولدين يلعبان وسط برك المياه، وجهاز التلفزيون، والكتب الموجودة على سطح البيانو، وتمثال لفتاة خجولة ترتدي فستانًا، وكوب قهوة فارغ تقريبًا، ونبات ضخمة. أتمَّت الشجرة سقوطها، واستلقت ساكنة على الأرض.

قالت والدتي:

- يا إلهي.

قالت نورا:

- لنعد أفراد المجموعة.

شربنا نخب أنفسنا مرة أخرى، وضحكنا بشدة، ولم تستطع والدتي التوقف عن الضحك. بعد ذلك عدنا أنا ونورا لمساعدة رفيقتنا التي

سقطت، وجعلناها تقف أخيرًا في غرفة المعيشة من دون حبلٍ.

أتى كلوديو للزيارة. وقف على الشرفة الأمامية وقد تساقط الثلج على كتفيه وقبعته، محتضنًا هداياه المغلفة بصورة مثالية. ظننتُ أنني سأرى ألف خلفه، تنفض حذاءها ذا الرقبة الطويلة، وعيناها الخضراوان الكبيرتان تلتمعان. سحب من معطفه زجاجة من النبيذ الإيطالي. جلسنا في غرفة معيشة والدتي، بجوار البيانو. تعزف والدتي عليه الترانيم، وتكدّست فوقه الكثير من كتب البيانو القديمة الخاصة بألف في سنواتها الأولى.

وضع كلوديو الهدايا تحت الشجرة، وناول والدتي كيسًا، قال:

- هذه رسائل تعزية من بعض زملاء ألف، ومن المعجبين. يا إلهي، يا لها من شجرة ضخمة.

قالت نورا وهي تعد المائدة:

- قد ترغب في البقاء بعيدًا عنها.

تذوقنا نبيذ كلوديو الإيطالي، وشربنا نخب عيد الميلاد، ونخب مولد مخلص صغير (نحن في انتظاره)، ونخب العائلة، ونخب ألفريدا.

قالت والدتي:

- حسنًا، دعونا نجلس.

سألنا كلوديو عن أحوالنا، فأخبرنا أنه بخير. سألناه عن حاله هو، فقال إنه لا يزال في حالة من الصدمة. كان يعتقد حقًا أن الموسيقى ستنقذ حياته. قالت والدتي:

- حسنًا، ربما أنقذتها بالفعل طالما كانت على قيد الحياة.

أخبرنا أن رجلاً يُدعى ياب زلدنثوس حلَّ محل ألفريدا في الجولة.

قال كلوديو:

- إنه لا يقارن بألفريدا فون ريزين، لكن أعتقد أنه أبلى جيداً، بالنظر إلى المهلة القصيرة المتاحة. لاحظ النقاد بعض التقلبات الإيقاعية في عزفه، ونوعاً من عدم الانتظام، لكن لا بأس في ذلك؛ كان ياب يعزف وهو متأثرٌ بإرهاقه من السفر. سررتُ بنعي ألفريدا في صحيفة «الجارديان»، أعجبني لأنه يدور حول ما يميز عزفها، ولونه ودفؤه، وليس فقط المعتاد بخصوص دقتها وانضباطها. كان نعي صحيفة «بيلد» جيداً جداً هو الآخر، وجميلاً، وكذلك صحيفة «لو موند». أزعجني أن بقية الصحف ضحّمت من شأن مشاكلها الصحية، إذ لا يجب أن يكون النعي مثل عنوان أي قصة أخرى مثيرة من العناوين الرئيسية. هل رأيتموهم؟

أصدرت والدتي صوتاً ينم عن الاستهزاء، وقالت:

- لا، لم أقرأهم. اعتدتُ قراءة مثل تلك الأشياء في الماضي، لكنني لم أعد أفعل.

قلت:

- لقد قرأتهم، وأنت على حقّ.

ساد صمتٌ ثقيلٌ في الغرفة. حدقنا إلى الشجرة بعض الوقت، ثم قال

كلوديو:

- يجب أن أخبركم أنه من بين الهدايا تسجيل فيديو لآخر تدريب

لألفريدا.

أخبرنا أن ألفريدا قدّمت أفضل أداء في حياتها ذلك اليوم، وأنها تفوقت على نفسها، كما لو لم يكن هناك أي حاجز مادي بينها وبين

البيانو، بحيث يمكنها التعبير عن مشاعرها كما تشاء. وعقب انتهائها، وقفت الأوركسترا وصفقت لها لمدة خمس دقائق. دفنت ألفريدا وجهها بين كفيها وبكت، ثم بكى نصف الموسيقيين أيضًا، كما أخذ كلوديو يبكي الآن هو الآخر وهو يحكي لنا ذلك. شكرناه على إخبارنا بالحكاية، وعلى الفيديو، ووعدناه بأننا سنشاهده. عانقناه جميعًا عند الباب الأمامي، حيث أمسك بالدرازين، رافضًا الرحيل.

قال:

- أنا آسف. كل تلك السنوات...

أحضرنا له مناديل ورقية، فتوقف عن البكاء، ثم شرع يبكي ثانية. أخيرًا، ترك الدرازين، وودعنا بعضنا. راودني شعورٌ بأننا لن نراه مرة أخرى أبدًا. تذكرتُ حكاية اكتشافه لألف، وهي جالسة بالخارج في الممر الخلفي وراء قاعة الحفل الموسيقي، مرتدية فستانها الأسود الطويل وسترة الجيش، بينما كانت تدخن وتسحق سيجارتها في الأسفلت وهي في السابعة عشرة من عمرها.

قالت نورا:

- دعونا لا نتناول بهجة مصطنعة في عيد الميلاد هذا.

كما لو كانت البهجة طبقًا ما. قلت:

- سنتناول القليل منها.

تذكرتُ ألف وهي تضرب رأسها بجدار الحمام ذلك اليوم في عيد الميلاد حينما كنَّا صغارًا، قالت:

- لا أستطيع القيام بذلك.

وصل نيك في وقتٍ متأخرٍ من ليلة الخميس. بدا ناحلاً. احتفلنا بعيد الميلاد مبكرًا، كي يتمكن ويل وصديقه الجديدة زوي من قضاء بعض الوقت مع أسرتهما في منتجع بالمكسيك، وحتى يتمكن نيك من قضاء الوقت مع أسرته في مونتريال. اعتادت زوي التنقل في كل مكان مع الأكورديون خاصتها. عزفت لنا بعض الأغاني الحزينة، لكنها كانت مثيرة للضحك في ذات الوقت. الأكورديون هو أفضل آلة للمناسبات الحزينة، لأنه حزينٌ وجميلٌ وبطيءٌ، ومضحكٌ في الوقت نفسه. كان لديها وشمٌ جديدٌ، ذكّرني بالوشم الذي أحاول محوه. كنتُ قد نسيتُه، إذ صار الآن مجرد لطخة مزرقة على كتفي، مثل كدمة خفيفة. خلال العشاء، تحدثنا عن الأسرار. أخبرتُ الجميع كيف حفظتُ ألف أسراري؛ كانت تشبه القبو. نظر إليّ الجميع حينها، كأنهم يقولون «أوه، حقًا؟ أسرار مثل ماذا؟».

في أثناء تناول الحلوى، قصّت والدتي علينا حكاية، وقالت إن لديها سرًّا هي الأخرى، يجدر بها أن نخبرنا إياه. شعرنا جميعًا بالاهتمام، خاصة أنا. سألتها:

— هل ستخبريني من يكون والدي الحقيقي؟

قالت:

— أجل، صحيحٌ. لا، الأمر يتعلق بكتابٍ. عندما كانت شقيقتي تينا في التاسعة عشرة من عمرها، كانت تقرأ رواية «لمن تفرع الأجراس». التقطته ذات يومٍ كي أُلقي نظرة، فقالت: «لا، لا يمكنك قراءة هذا الكتاب، إنه ليس لك»، لذا وضعته جانبًا.

سألتها نورا:

- كم كان عمرك؟

قالت والدتي:

- في الخامسة عشرة، مثلك. لذا في أحد الأيام، غضبتُ من تينا بشدة لسببٍ سخيفٍ، لا أدري لماذا. لم تكن موجودة في المنزل ذلك اليوم، ورأيتُ كتابها مُلقًى على فراشها، فأخذته، وقرأتُ الكتاب اللعين كله دفعة واحدة.
قال ويل:

- يا إلهي، لقد أثبتَ لها موقفك بالفعل.

قالت والدتي:

- لم أخبرها قطُّ، لكن لكم أشعروني ذلك بالرضا، كما أشعروني بالخبت! سألهما نيك:

- ماذا كان رأيك في الكتاب، إذن؟

قالت والدتي:

- أوه، لقد أحبيته! لكنني اعتقدت أن الجنس كان محض حماقة. أَلقيتُ نظرة خاطفة على نورا، التي رسمتُ على وجهها تعبيرًا مضحكًا، وقلت:

- حسنًا، لقد كنتُ في الخامسة عشرة فعسب.

ابتسمنا، وتناولنا الحلوى.

سألتهما:

- هل تتمنين لو أنكِ أخبرتها بذلك؟

قالت والدتي:

- ها! أتساءل عن هذا.

غادر ويل وزوي في وقتٍ مبكرٍ من صباح ذلك اليوم متوجهين إلى مكسيكو سيتي، وتوجه نيك إلى مونتريال. تواصلت نورا من خلال سكايب مع آندرس، الذي عاد إلى ستوكهولم لقضاء فترة العطلة. كنتُ أقرأ في غرفة معيشة والدتي، كتابًا قدّمه إليّ ويل في عيد الميلاد، عنوانه «دفاتر السجن». وضعت على الأرض، ونهضتُ لإجراء مكالمة مع جولي في وينيبج. أصدرت والدتي أصواتًا غريبة. استلقت على الأريكة بالقرب من الشجرة، وبدأ تنفّسها مختلفًا. كانت أنفاسها ضحلة، وأخذت تزفر من فمها مثل رياضي بعد التمرين؛ كانت تحتضر. اتصلتُ بسيارة إسعافٍ، وتوجهنا إلى المستشفى. في النهاية، أنقذوا حياتها مرة أخرى، بالضرب على صدرها وحقنها بالنيتروجلسرين ومواد كيميائية أخرى قوية، اندفعت في أوردتها المتمردة وخففت عن قلبها المرهق.

قالت للمسعفين:

- يا إلهي! هذه الكيماويات تكفي لحفظ معلبات والدتك!

جعلها أحدهم تكرر قولها مرتين، كي يتمكن من إخبار أصدقائه.

بدا ذلك مألوفاً لي، النقلات في غرفة الطوارئ، لكن حالتها كانت متعلقة بالقلب، ولم تكن حالة عقلية، لذا لم يكن هناك أي توبيخ من طاقم العاملين، ولا ممرضة نفسية تشعر بالتفوق الأخلاقي تسألها: «لَمْ لا تحسنين السلوك؟». حضرت نورا إلى المستشفى، وجلسنا على جانبي والدتي. استلقتُ خلف ستارة بنية، موصولة بالآلات والمحاليل، وقد راحت في النوم. عندما استيقظت، قالت:

- حسناً، هذا ترحيبٌ رائعٌ بعشية عيد الميلاد!

أخبرتنا بأنها حلمت بأميليا إيرهارت.

سألتها نورا:

- الطيارة؟ ماذا عنها؟ هل حلت لغز اختفائها في حلمك؟ سنصير مشهورين حينها.

قالت والدتي إن رجلاً أخبرها في حلمها أن أميليا إيرهارت هي الشخص المفقود المفضل لديه. بكت لبضع ثوانٍ فقط، وهمست أنها أسفة لوجودها هنا في عيد الميلاد، تماماً مثلما اعتذرت ألف لعمي فرانك لوجودها في قسم الأمراض النفسية. أمسكنا يديها، وقلنا لها إن هذا لا يهم، ولا أحد يكثر لذلك. أخبرتها نورا أننا سنحتفل مع الأوكرانيين بدلاً من ذلك، في وقتٍ ما في يناير.

جاءت إيمي، جارتنا، ومعها سلة من الطعام، والنبذ، ومناديل من القماش، وأطباق خزفية جميلة، وأدوات مائدة فضية. تناولنا عشاء ليلة الميلاد في قسم الطوارئ، وكل شيء مرصوص فوق بطن والدتي. كانت بمثابة طاولتنا، لطالما كانت طاولتنا. أزالنا نورا قناع الأكسجين الخاص

بوالدتي بعناية للحظة، كي تتمكن من تناول رشفة من مشروبها. سمحت
المرضة برشفة واحدة، بمناسبة عيد الميلاد، لكن والدتي تناولت رشفتين
كبيرتين. تناولنا الشمبانيا في الأكواب البلاستيكية المخصصة للعينات،
وشربنا مرة أخرى نخب فكرة شاردة عن أنفسنا، ونخب الممرضة المتساهلة
التي جاءت وابتسمت لنا، ونخب ألف، ووالدي، وخالتي تينا، وابنة خالتي
ليني. أنشدنا «أتساءل وأنا أتجول»، أغنية عيد الميلاد المفضلة لدى والدتي.
بقينا أنا ونورا حتى وقت متأخر، إلى أن استغرقت والدتي في النوم، ثم
عدنا إلى المنزل. وقفتُ في شرفة الطابق الثاني وسط ظلمة الليل، وراقبتُ
الثلوج تتساقط داخل الخندق.

ذهبتُ لزيارة والدتي في المستشفى في اليوم التالي. كانت قد كَوَّنت
صداقاتٍ بالفعل، وشرعت تروي حكاياتٍ مسلية من وراء ستارها البنية،
ليسمعها رفاقها من المرضى، وعلى ما يبدو فقد قام بابا نويل بجولته أيضًا.
دومًا ما تحتضر والدتي على الأقل مرة واحدة في كل عام. لقد عملتُ
في كثير من غرف الطوارئ مثل فناني فكاها في جولة فنية، ما بين بويرتو
فالارتا، والقاهرة، ووينيبيج، وتوسان، وتورونتو.

قالت:

- أزيلني كل الأشياء من على ذلك المقعد، واجلسي جوارِي.

وضعتُ روايتها البوليسية على صدرها بعناية مقلوبة للأسفل،
ومفتوحة كي لا تفقد مكانها، قالت:

- هناك شيءٌ أريد إخباركِ به.

أمسكتُ بيدي، كانت يدها دافئة، وقبضتها قوية، مثل تينا.

قلتُ:

- أعرف بالفعل أنك تحبينني، وأنني أجلب لك الكثير من السعادة.

قالت:

- لا، أود أن أخبرك شيئاً آخر.

كان يوم عيد الميلاد. اتصلتُ بجولي، وقلتُ:

- عيد ميلاد سعيد.

قالت:

- عيد ميلاد سعيد لك أيضاً.

كانت هذه هي المرة الأولى في حياتنا التي نصبح فيها بمفردنا في يوم عيد الميلاد. قلنا «حقاً؟ هل هذا حقيقي؟»، وقد كان حقيقياً بالفعل؛ كان طفلاها مع طليقها، والدهما، بينما ويل مع أسرة صديقه في المكسيك، ونورا عند دان، الذي عاد أخيراً من بورنيو، وكانت والدتي في المستشفى. سألتني:

- هل نتناول الشراب معاً على الهاتف؟

قلت:

- كي نعاني من آثاره الضارة؟

كنتُ أقتبس مقولة معلمتنا القديمة في مدرسة الأحد، السيدة سكال. كانت تصلي، خاصة من أجلي أنا وجولي، كي نشوب إلى رشدنا ونتوقف عن العبث مع الأولاد الفرنسيين وسط الشجيرات. لم نستطع التوقف عن ذلك، كان الأمر ممتعاً للغاية، لم نستطع التوقف! أخبرتنا معلمتنا القديمة

في مدرسة الأحد أنها تحبنا، لكن الرب يحبنا أكثر، فقلنا لها أن تبذل جهداً أكبر. أخبرتنا أن النساء الخاطئات يزينن أجسادهن، وليس أرواحهن، فسألتهما جولي:

- هل علينا أن نسير عرايا إذن؟

عندما غادرتُ الغرفة كي تجلب مناديل ورقية، هربنا أنا وجولي من سلم الطوارئ المخصص للحرائق. كانت آخر درجة على السلم لا تزال بارتفاع طابقين عن الأرض، واضطررنا إلى القفز باقي المسافة إلى الأسفل. أحيينا الطريقة التي شعرنا بها بالألم أسفل أقدامنا بعد ذلك. جلست كلٌّ منّا في غرفة معيشتها، ونحن نشرب السكوتش، ونحدث، ونسمع إحدانا الأخرى. قلت:

- في نخب هذا العرض الشامل بأكمله.

قالت جولي:

- أجل، في نخب هذه الأرجوحة الحمقاء التي تدور بنا.

رفعنا كأسينا، وقرعناهما بهاتفينا، وقلتُ:

- أنت أقوى شخص أعرفه.

لم أخبرها أنني أعتقد أنها تمتلك ما يلزم لقتل نفسها. كنت أحاول إعادة تشكيل معتقداتي، وتغيير مقياسي للنجاح.

سألته:

- هل كل شيء لا يُطاق؟

قلت:

- لا. ما الذي نفعله الآن في هذه اللحظة؟

قالت:

- حسنًا، هذا صحيح.

سألتها:

- ذكريني مرة أخرى، عيد ميلاد من اليوم؟

قالت:

- ذلك الفتى الشبيه بالهيبز.

قلت:

- يبدو أننا لم ندعَ إلى حفله هذا العام.

اتفقنا على أننا لم نكن لنذهب على أي حال، وأنَّ علينا أن نتحول إلى اليهودية.

سألتني:

- أتذكرين ذلك الرجل الذي يقف خارج متجر «7-إلفن» في شارع

كوريدون؟

قلت:

- آلان.

(كان آلان عازف تشيلو بارعًا فيما مضى، على وشك أن يصير أعجوبة، وكان سيذهب للدراسة في مدرسة جوليارد، ثم ارتطمت رأسه بلوحة قيادة سيارته عندما اصطدم بشاحنة أسمنت على الجليد. صار يقف بمفرده الآن خارج متجر «7-إلفن» في شارع كوريدون، يطلب من الناس قطع النقد الصغيرة بتهذيبٍ شديدٍ. لا يزال وسيماً، يبدو خاوياً من الداخل إلى حدٍّ ما، لكنَّ عينيه لامعتان للغاية، بياضهما ناصعٌ، ورزقتهما زاهية، كالجزر اليونانية. يغمغم بالكلمات، ويبدو أحياناً أنه يضحك على كل شيء، كما

لو أن أحدهم أقام له حفلًا مفاجئًا للتو. لا نعرف من يتولَّى العناية به).

قالت جولي:

- حلمتُ أنني أقمتُ معه علاقة، وعرضتُ أن أكون صديقه وأصطحبه معي إلى المنزل وأتولَّى رعايته، لكنه لم يرغب في ذلك. كان لطيفًا للغاية، وحاول ألا يجرح مشاعري. أراني بثوره من آثار أوتار التشيلو التي لن تزول أبدًا، وسألني عمَّا إذا كان يمكنه استعارة زوج من القفازات الدافئة. كان هذا هو كل ما يريده.

سألته:

- هل أحسستِ بالرفض؟

قالت:

- أجل، إلى حدٍّ ما. أردتُ أن أمسِّط له شعره أيضًا، فقد كان متشابكًا للغاية، كما أردتُ أن أحممه.

تحدثنا أنا وجولي لساعات وساعات، طوال الليل، حتى يوم الصناديق، وسعدنا حقًا لانقضاء عيد الميلاد. صار لدينا حينها شيء نشرب نخبه بالفعل.

٣ مايو ٢٠١١

عزيرتي ألف،

أخبرتني خالتي تينا في إحدى المرات أنني سأسير في الطريق ذات يوم وأشعر بخفة مفاجئة تعتريني، كما لو أنني أستطيع مواصلة السير إلى الأبد، قوة سحرية من نوع ما، وسيعني هذا أنه قد غُفر لي. أتمنى لو أنني اصطحبتكِ إلى زيورخ، أنا آسفة. قالت خالتي تينا أنني سأطير يومًا ما، من دون أن أدرك ذلك حتى.

هل أخبرتكِ بشأن المستشفى ووالدتنا؟ أعتقد أنني فعلت. إنها بخير مرة أخرى الآن، لفترة من الوقت. مررتُ بلحظة محرجة في المستشفى، لم أخبر أحدًا عنها. في لحظة ما في غرفة الطوارئ، قبضتُ والدتي على يدي - أنت تعرفين كيف تفعل ذلك، وكيف أن ذلك مؤلمٌ في الواقع، كما لو أنها زعيمة مافيا تتظاهر باللطف - وقالت إن لديها ما تخبرني به. ظننتُ قطعاً أنه سيكون ما تخبرنا به دومًا وهي تحتضر في الطوارئ: إنها تحبني، وأني جلبتُ لها الكثير من السعادة، وما إلى ذلك. لكن بدلًا من ذلك، همستُ لي أن عليَّ التوقف عن السكر والاتصال بالمستشفى في وينيبج. أخبرتني أنها تتبعت أنشطتي - كل تلك السنوات التي قضتها في قراءة روايات الجريمة أنت ثمارها أخيرًا - وأدركتُ أنني كنتُ أذهب في وقتٍ مبكرٍ من المساء إلى «وينو تاون»، أو أيًا كان الاسم الذي يُطلق على منطقة محلات بيع الخمر هنا، واشترى لنفسي كيسًا من زجاجات الخمر، ثم أعود إلى المنزل وأتناول الشراب بمفردي، وأستمع إلى أغاني نيل يونج التي تذكّرني بك، حتى أدخل نفسي في نوبة من الحزن والغضب، وأتصل بعد ذلك بالمستشفى في وينيبج لسؤالهم عمّا إذا كان بوسعي التحدث إليك، ثم أظاهر بعدم التصديق عندما يخبرونني أنك لستِ هناك.

قبضتُ على يدي بشدة طوال الوقت، وثبتتُ عينيها على عيني كي لا أتمكن من الهرب، فأحسستُ بالخجل الشديد، والضعف، والغباء، والجنون. شرعتُ في البكاء، والإيماء برأسي قائلة إنني أعرف، وإن عليَّ التوقف، وإنني آسفة للغاية، بكيث وبكيث، لم تكن تعرف ما قلته للمستشفى بالفعل، بل كانت تعرف فقط أنني أتصل بهم بانتظام، لأنها كانت تفتح فواتير الهاتف، وترى جميع الأرقام التي من مانيتوبا - هذه هي مشكلة

العيش مع والدتك، يا ألف، وهي مشكلة لن تواجهيها أبدًا - ثم ربطت كل التفاصيل ببعضها. سألتني عمًا إذا كنت أحاول مطاردة المستشفى كالأشباح، وظننت أن هذه طريقة مشوقة لوصف الأمر، فأخبرتها أنني لا أعرف ما أفعله، وأن الأمر لا يهم، وأنني آسفة، وسأتوقف عن ذلك. ثم على الرغم من أنها هي التي كانت تحتضر، وموصولة بكابلات وأسلاك وأشياء مختلفة، إلا أنها جذبتني في حضنها الهائل وهددتني كرضيع من وضعها الأفقي في فراشها الأبيض الصغير، وانحنيت فوقها نوعًا ما وأنا أبكي، بينما ظلت حقيتي تنزلق من فوق كتفي. أحاطتني بذراعيها، وتظاهرت بأنها أنت، ووالدنا، وليني، وحتى دان، وكل الأشخاص الذين فقدتهم عبر الطريق. ثم همست لي بأشياء عن الحب، وعن اللطف، والتفاؤل، والقوة، وعنك، وعن أسرتنا.

أخبرتني كيف يمكننا جميعًا أن نقاتل بقوة، لكن كيف يمكننا أيضًا الاعتراف بالهزيمة والتوقف عن القتال، وتسمية الأشياء بمسمياتها الحقيقية. سألتها عمًا يجب أن أفعله حينما لا تكون الأشياء بمسمياتها الحقيقية، فأخبرتني أنه في بعض الأحيان، توجد في الحياة أشياء من هذا القبيل، أشياء ليست بمسمياتها الحقيقية، وأنه بوسعنا تركها على هذا النحو. قلتُ لها لكنني كاتبة، ومن الصعب بالنسبة إليّ ترك هذه الأشياء غير محددة على ذلك النحو، فقالت إنها تفهم الأمر، وإنها هي الأخرى تحب أن تُحل الألغاز، يعلم الرب ذلك، وتحب أن تعبر الكلمات عن المشاعر. فقرتُ على روايتها البوليسية الراقدة على صدرها، تحمي قلبها، والتي بطريقة ما لم تتزحزح ولو بوصة واحدة مع كل هذا العناق. أخبرتني أن الدماغ صُمم بحيث ينسى الأشياء مع استمرارنا في الحياة، وأن الذكريات

يجب أن تتلاشى وتحلل، وحتى بشرتنا التي تحمينا بشدة في البداية، لأن عليها حماية أعضائنا، تترهل في نهاية المطاف، لأن أعضائنا ذاتها لم تعد في أفضل حالٍ هي الأخرى، وأن الحواف الحادة تصير ثلثة، وأن ألم التخلي عن الحزن مؤلمٌ كالحزن نفسه، أو أكثر إيلاّمًا منه حتى، فهو يعني الوداع، ويعني الذهاب إلى روتردام في حين لم تكن تتوقع ذلك، من دون أن تكون لديك أي وسيلة لإبلاغ أي شخص أنك ستتغيب فترة من الوقت. حسنًا، سيسعدك أن تعرفي أنني توقفتُ عن الاتصال بالمستشفى. أتذكرين تلك المرة التي ظننتُ فيها أنها ستكون فكرة رائعة حقًا لو أنني ذهبتُ إلى المدرسة وقد سحبْتُ فوق وجهي بعضًا من جوارب والدتنا؟ وقد همستِ أنتِ لي بهدوءٍ وأنتِ في طريقكِ إلى الخروج من المنزل: «حاولي التحلي برباطة الجأش، أيتها الدوارة». ليست لديك فكرة كم أستحضر تلك الكلمات، وكان هذا في الأساس هو ما تحاول والدتنا أن تقوله لي في المستشفى.

لقد تعافت، كما تفعل دومًا، وللاحتفال بهذا، ذهبنا أنا وهي ونورا في رحلة إلى نيويورك لزيارة ويل وزوي. اصطحبانا لمشاهدة عرض في متحف الفن الحديث، حيث كان الجميع عراة ويتألمون. كان عرضًا لمارينا أبراموفيتش، وكان حديث المدينة. احتشد جميع زوار المعرض في غرفة واحدة، متسائلين عن كيفية الوصول إلى الغرفة الأخرى. لم يكن هناك سوى مدخلٍ ضيقٍ علينا المرور من خلاله، لكن كان هناك شخصان عاريان يتألمان، يقفان وجهًا إلى وجه في المدخل، لذا تعيّن علينا جميعًا تناوب الدور في الاحتكاك بهما في أثناء مرورنا. لم يتحرك أحدٌ للمرور عبر الباب. كنّا أنا وولداي قد فقدنا أثر والدتي وهي تتجول في أرجاء

المكان وتأمل الأشياء. أخذنا نتهامس حول بعض المشاهير الذين رأيناهم في الغرفة، وعرفتهم نورا جميعاً، إذ كانوا مصممين أزياء وممثلين، لكن لم يعرفهم بقتنا. بدأ جميع الأشخاص المحتشدين يتململون، ويهمهمون وهم يرغبون في الانتقال إلى الغرفة المجاورة، إلا أنهم أخذوا يتساءلون عن كيفية المرور عبر الباب، ثم قال ويل: «مرحى، ها هي جدتي»، فنظرنا نحو المدخل الضيق حيث يقف الرجل والمرأة العاريان في مواجهة بعضهما. لم يكن أحدٌ قد مرَّ من خلاله حتى الآن، ثم شاهدنا والدتي بسرولها الأرجواني من القطيفة المضلعة وسترتها الواقية، وهي تقف عند مدخل الباب ويداها على خصرها. قالت نورا: «يا إلهي، إنها تمرُّ». عبرت من خلال الباب جانبياً، واحتكت بطنها بقضيب الرجل. ثم توقفت في المنتصف، هناك بين الرجل والمرأة، ولم تسرع في العبور على الإطلاق، بل استمتعت بالتجربة. نظرت إلى وجه الرجل العاري، في عينيه مباشرة. بدا وجهه خالياً من التعبير، فابتسمت له وأومأت برأسها وهي تحييه بأدب، ثم استدارت بطريقة ما في تلك المساحة الضيقة كي تواجه المرأة، ونظرت في عينيها هي الأخرى وابتسمت وأومأت، ثم وجَّهت ابتسامة إلى جميع المحتشدين في الغرفة الأولى، كما لو أنها تقول حسناً، أيها الناس، دعونا نذهب، اتبعوني. عبرت من الباب، وتبعها الباقون الواحد تلو الآخر.

في آخر يومٍ لنا في مدينة نيويورك، اصططحبتنا والدتي جميعاً لتناول شريحة لحم عملاقة في مكان ما في بروكلين، بالقرب من المكان الذي يسكن فيه ويل وزوي. كان الوقت متأخراً، وقد حلَّ الظلام عندما غادرنا مطعم اللحوم. سرنا نغني في الشوارع، وحاولنا تذكر كل الأشياء التي ستفعلها الأم لطفلها الباكي في أغنية «الطائر المحاكي». تذكرناهم جميعاً في

النهاية. شبكنا أنا ونورا ووالدتي أذرنا ببعض، وغنت نورا أغنية لفريق «ذا وبيز»، اسمها «شخص محبوب». حمل ويل زوي على ظهره، وسار مسرعاً على الرصيف، بينما ضحكْتُ هي وتقافزت حتى فقدت فردة شبشبها، لذا اضطررنا إلى العودة وتتبع خطواتنا في الظلام، وأعتقد أن هذا هو معنى الحياة. أحياناً، تخترق صافرات القطار صمت اليوم. تلك النغمات المتنافرة التي تذكرني بضربك الحزين على لوحة المفاتيح حينما كنت أخطئ في واجبي خلال تقليب الصفحات: «انتظري حتى نهاية المازورة، أيتها الحمقاء!». هناك شريط قطار بالقرب من منزلنا، يمكنني أحياناً سماع العجلات وهي تهتز فوق القضبان، وأحياناً أشعر بالأرض وهي تهتز. أجد ذلك مريحاً، كما لو أنه نوعٌ من التحية، أو الوداع الملائم. ستحبذ والدتنا ذلك، أنت تعرفين كم تهتم بأمر التحية والوداع.

أتذكرين جارتنا السيدة شتاينجارت (التي أطلقت عليها لقب سنيورا جيوفانا)، وهي تقف في منتصف غرفة معيشتنا، ويدها على خصرها، وكيف حدّقت بغضبٍ إلى والدتنا لأنها اعتبرتها ربة منزل غير ماهرة بما يكفي، وإلى والدنا لأنها اعتبرته لا يتمتع بما يكفي من الرجولة، وإلينا نحن نظراً لكوننا لسنا أطفالاً طبيعيين كما ينبغي لنا، وكيف كنّا جميعاً مستقلين أو جالسين غارقين في مقاعدنا وكتبنا في أيدينا، غافلين تماماً عن توبيخها، حتى سارت بغضبٍ عائدة إلى منزلها وهي تقول إننا أشخاصٌ يهتمون بالكلمات فحسب، وأننا أسرة مؤلفة من الكلمات، وسيتعين علينا أن نفتح أعيننا في يومٍ من الأيام؟ نفتحها على ماذا؟ منزل فوضوي؟ أذكر الآن كلماتها الأخيرة قبل رحيلها: «لن تغذي الكلمات القطة!». جعلتني كلماتها أتوقف للحظة، وربما أكون قد رفعت عيني عن كتابي، لكن كان ذلك بسبب الكلمات التي

صاغت بها تهديدها فحسب، وليس التهديد نفسه.

أذكركم كيف كانت والدتنا تسبح متجاوزة منطقة الأمواج المضطربة، وتطفو حتى تنجرف إلى مكانٍ لا يعلمه سوى الرب وحده، في البحر العميق المتقلب، حتى يلاحظها شخصٌ ما ويأتي لإنقاذها؟ ماذا تعني الكلمات، يا ألفت؟ كل شيء، أم لا شيء؟ لا يمكن أن تعني شيئاً ما فحسب. بالمناسبة، أخيراً تفقدتُ كتب محبوبك، د. هـ. لورانس. أذكركم عندما أعربت عن صدمتك من أنني لم أقرأ «عشيق الليدي تشاترلي»؟ يا إلهي، كم أنت متعجرفة في بعض الأحيان. حسناً، لقد قرأتها. أجل، كان الجنس رائعاً. كنت سأجد وقتاً في جدول أعمالي المزدحم بين التطريز وترتيب الزهور كي أزور ذلك الرجل في الغابة أنا أيضاً. أتساءل عما إذا كانت فريدا قد كتبت تلك الأجزاء للورانس، ثم تعيّن عليها إطباق فمها والتزام الصمت، في حين حظى هو بكل الشهرة، وعاش في فنادق فاخرة في فرنسا مع فتيات الهيبيز. على أي حال، أنت محقة بشأن الفقرة الأولى، أريد أن يعرضها شخصٌ ما على واجهة منزلي بأحرف ضخمة من الضوء والظلال، وسيكون من الأفضل أن تومض الأحرف بعض الشيء. كما أنها سوف تختفي تحت أشعة الشمس بالطبع، مثلما يفعل كل شيء، وسيكون ذلك مثالياً.

«إن عصرنا في الأساس هو عصرٌ مفرّجٌ، لذا نأبى التعامل معه على نحوٍ مأساوي. لقد وقعت الجائحة، وها نحن بين الانقراض، بدأنا في بناء مساكن جديدة صغيرة، وصارت لدينا آمالٌ جديدة صغيرة. إنه عملٌ شاق في الواقع، ولا يوجد الآن طريقٌ ممهدٌ نحو المستقبل، لكننا ندور، وندفع فوق العراquil. علينا أن نعيش، مهما انطبقت السماوات».

شكراً للحفاظك على كل أسرارِي. أذكركم ذلك الموكب الذي قدته

في منتصف الليل عبر البرية، للوصول إلى معسكر الأولاد؟ أنت الآن الحافظ الرسمي لأسراري.

كنتِ تعلمين أنني لا أتمتع بالشجاعة الكافية لاصطحابكِ إلى زيورخ، أليس كذلك؟ كما كنتِ تعلمين أنك لن تأتي إلى تورونتو.

أحبكِ، يا ألف. عليّ الذهاب الآن. لا بُدَّ أن ألقم الشجيرات التي اجتاحت حديقتنا الخلفية. لقد نمت بكثافة لدرجة أنه صار علينا الانزلاق على بطوننا عبر هذه الغابة رافعين بنادقنا فوق رؤوسنا، كي نتمكن من الوصول إلى الممر الخلفي، وهذا ليس بالأمر السهل الذي يمكن لوالدتنا القيام به كل يوم قبل الذهاب إلى جولاتها في كوين ويست.

أريفاديتشي، ألف الجميلة!

ملحوظة: لقد قابلتُ رجلًا. نتمشَّى في أرجاء المدينة، ونتبادل الحديث، ونلعب مباريات كرة الطاولة في وقتٍ متأخرٍ من الليل. كان أول شيء أخبرني به عن نفسه هو أنه علق فجأة وسط تبادل لإطلاق النار في نيوجيرسي. تعرَّض لإطلاق النار، في المكان والوقت الخطأ، وتوفي في سيارة الإسعاف، ثم عاد إلى الحياة في المستشفى، لكنه توفي ثانية، وفي النهاية عاد إلى الحياة ليبقى، لكن كان عليه أن يظل عاريًا في الثلج لأسبوعين، حتى يصير قلبه جاهزًا للعمل مرة أخرى. يتمشَّى معي إلى المنزل كل ليلة أربعاء، ويقبِّلني على وجنتي مرتين قبل أن يتمنى لي ليلة سعيدة، لأنه كان يعيش في باريس. أحيانًا عندما نلعب التنس، يقفز فوق الشبكة ويركض نحوي كي يقبِّلني أيضًا. وهو يعاني طنين الأذن، مما يعني أن هناك أزيزًا في رأسه على الدوام. كما يعاني أيضًا تضخمًا في الشريان الأورطي. يسجل أحلامه على جهاز الكمبيوتر المحمول الخاص به

أول شيء في الصباح، مع وضع وسادة على رأسه. إنه فصل الربيع الآن، على ما أعتقد، ووالدتنا عند الموقد، تحرك صلصة ضلوع اللحم، وتقرأ رواية ريموند تشاندلر، «الوداع الطويل». اتصلتُ جولي، فوضعتها على مكبر الصوت كي تتمكن والدتنا أيضًا من سماعها. سألتها عن الأحوال، فأخبرتنا أن وينبيج خضراء للغاية الآن، المقاطعة بأكملها: «مانيتوبا كلها خضراء على نحوٍ لا يصدق، أتذكرين؟ وهل تذكرين الضوء، والدفء؟». قلتُ لها «أجل، يمكنني تخيل ذلك تقريبًا». قالت «تقريبًا؟». قلت «لا، يمكنني ذلك، يمكنني رؤيته». قالت «كيف أنها خضراء إلى هذا الحد؟». كان عليّ التفكير لثانية أو اثنتين، أغمضتُ عيني، قلتُ «أجل، أعرف ذلك، إنها خضرة مذهلة، أتذكرها الآن».

كنّا على متن طائرة، أنا وألف، نختر ما بين الدجاج واللحم. نسينا أن نطلب مسبقاً وجبة نباتية لألف. أخذنا نحتسي النبيذ من زجاجات صغيرة، ونقرأ الأبراج من عددٍ قديمٍ من مجلة «بيبول». كانت ترتدي معطفًا مخططًا واقياً من المطر، أعتقد أنه كان من تصميم مارك جيكويز، مع حذاء أسود برقبة طويلة. ارتديتُ أنا حذاء برقبة مرتفعة ماركة «كونفرس»، وبونشو جديدًا. عندما ارتديتُ البونشو كي أريه لألف، قالت «وداعًا للأذرع». خلعت كلُّ منّا المعطف والبونشو في أثناء الرحلة، ووضعناهما في الخزانة العلوية. كانت ألف ترتدي سروالاً من الجينز بلون «دم الثور» تبعاً للملصق المرفق به، وبدت حمرة داكنة للغاية. كان سروالي أنا أزرق عادياً، وباهتاً بعض الشيء. أحسّت ألف بالإرهاق، فوضعت رأسها على كتفي، ونامت معظم الرحلة، بينما انشغلتُ أنا بالقراءة، لم أقرأ بالفعل،

لكنني حاولتُ ذلك. شعرتُ بالارتياح لوجود رأس ألف على كتفي. كانت ثقيلة، وفاحت من شعرها رائحة الجريب فروت. كان الكتاب الذي أخذت أقرأه، أو أحاول قراءته، منشورًا ذاتيًا، عن أصل سلالة عائلة روسية من منطقة أوديسا. عندما هبطت الطائرة، صرنا في زيورخ.

استيقظت ألف وابتسمت ابتسامة ناعسة، فقلت إننا وصلنا. سألتني عن الكتاب، فأخبرتها أنه مفصلٌ وملِيءٌ بأسماء تعرف هي فقط كيفية نطقها. ركبنا سيارة أجرة إلى فندقنا، ووضعنا أغراضنا في الغرفة، ثم تمشينا إلى مطعمٍ لطيفٍ حقًا على بُعد عدة بنايات سكنية، رَشَّحته المرأة في مكتب الاستقبال في الفندق. قبل أن ندخل المطعم، التقتنا صورًا لبعضنا ونحن نقف على جسرٍ، ثم طلبنا من رجلٍ مرَّ بنا أن يلتقط لنا صورة معًا، فالتقط ثلاثًا أو أربعًا، فقط للتأكد من أننا سنحصل على واحدة جيدة، وسألنا عما إذا كنا هنا في عطلة، فأخبرنا بأننا شقيقتان.

قَصَّت عليَّ ألف في أثناء العشاء حكاياتٍ عن رحلاتها إلى أوروبا عندما كانت شابة معجزة، وقصصتُ عليها بعض حكاياتي. في البداية ضحكنا كثيرًا، بعصبية إلى حدٍّ ما، لكننا استرخينا في النهاية، وضحكنا عندما كانت الحكايات مضحكة فحسب. أكلتُ كثيرًا، وظللتُ أطلب أطباقًا جديدة. لم تأكل ألف الكثير، لكنها أَحَبَّت الخبز الدافئ الذي ظلُّوا يجلبونه لنا في سلة خشبية. أتذكر أنني اعتذرت لها لاتساخ أظافري، فقالت:

- لا توجد مشكلة، وعلاوة على ذلك، فقد كنت تعملين بجدٍّ مؤخرًا.

عندما قالت ذلك، بكيتُ قليلاً، فأتت من مكانها، وعانقتني. نظر إلينا بعض الأشخاص الذين في المطعم ونحن نتعانق، وابتسموا. طلبتُ حلوى وقهوة أخرى، حتى أخبرونا في النهاية أن المطعم سيغلق. تمشيينا ببطء عائدين إلى الفندق، وقد شبكنا ذراعينا ببعض كفتائين محافظتين، ثم استلقينا معاً على الفراش الأبيض الضخم. سألتها:

- أتذكرين عندما شاهدنا ذلك الكسوف الشمسي؟ لقد أتيتِ إلى مدرستي وأخرجتني من حصة جانر للغة الإنجليزية كي أشاهده معك. قالت:

- أجل. كان الجو بارداً للغاية.
- حسناً، كنّا في فصل الشتاء، مستلقين على الثلج وسط أحد الحقول. قالت:

- كنّا نرتدي خوذات اللحام، أليس كذلك؟
- بلى، من أين حصلتِ عليهم؟
- لا أتذكر، أعتقد من شاب كنت أعرفه في المدينة. سألتها:

- ألم يكن رائعاً؟
قالت:

- الكسوف الشمسي؟ كان رائعاً بالفعل. مسار الكسوف الكلي. قلت:

- ماذا؟ أهذا هو ما يُطلق عليه؟
- أجل، أتذكرين ما قاله والدنا؟

خففت صوتها، وواصلت قائلة:

- مرّ مسار الكسوف الكلي على مانيتوبا في وقتٍ مبكرٍ من بعد الظهيرة.

- أوه، صحيح، تقصدين عندما قالها بتلك النبرة الجادة للغاية؟ ضحكتُ قائلة:

- كان مضحكًا للغاية.

قلت:

- يفترض ألا يقع التالي قبل ألف وخمسمائة عام، أو شيء من هذا القبيل.

قالت ألف:

- أعتقد أنه سيفوتني إذن.

- أجل، أعتقد أنه سيفوتني أيضًا.

قالت ألف:

- ربما لا، من يدري؟

كانت هناك كوة أعلى فراشنا، تمكنا من رؤية النجوم. أمسكتُ ألفي بيدي، ووضعتها على قلبها، فشعرتُ بنبضه القوي الثابت. كان لدينا موعدٌ مبكرٌ في صباح اليوم التالي، وعلّقتُ ألف إن الأمر يشبه الزواج، أو الخضوع لامتحان.

قالت:

- إنه لمن العذاب أن نضطر إلى الانتظار طوال اليوم. لنهض فحسب،

ونستحم، ونذهب.

مكتبة

t.me/soramnqraa

النهاية

شكر وتقدير

فيما يتعلق بكتابة «كل أحزاني الضئيلة»، أنا في غاية الامتنان لوكيلتي، سارة تشالفانت، ولمحررتي لويز دينيس. إنهما محترفتان حقاً، يا إلهي! إلى أقدم أصدقائي، كارول لوين، وجاك باسكير، اللذين يواصلان إنقاذ حياتي، واللذين سيجدا هذا «الشكر» سخيّاً. (وإلى وينبيج، مدينة أحلامي). إلى أصدقائي في تورونتو، لترحيبهم بي. وإلى آل راذرفورد، لعناقهم الجماعي! إلى أبنائي (أنتم جميعاً تعرفون أنفسكم، لا يوجد غيركم، فلا تقلقوا. ها!) الذين لا يفتنون بصارحوني بأخطائي. وإلى والدتي، إلفيرا تيفز، المفعمة بالحياة! إلى إريك راذرفورد لقلمه الرصاص الحاد، وقراءاته التي لا حصر لها، وخاصة لحبّ الأعمى. وأخيراً، إلى شقيقتي الجميلة، مارجوري آن تيفز: عبقرية كوميدية، مُفتقدة بشدة.

كتبت ميريام تيفز خمس روايات سابقة: «صيف حظي المذهل»، و«فتى حسن التربية»، و«لطف معقد» (الفائزة بجائزة الحاكم العام الأدبية للرواية لعام ٢٠٠٤)، و«آل تراوتمان الطائرون» (الفائزة بجائزة أمانة روجرز للكتاب للرواية)، و«إيرما فوث»، علاوة على عملٍ واحدٍ غير روائي، «اخفض سقف طموحك: حياة». وهي تعيش في تورونتو.

مكتبة

t.me/soramnqraa

كل أحزاني الضئيلة

«كانت تريد الموت، بينما أردتها أن تعيش، وكنا عدوتين تحب إحدانا الأخرى».

ما الذي يتعين عليك فعله، عندما تترجك شقيقتك المقربة لمساعدتها على الرحيل من هذا العالم، لأنها تجد الحياة مؤلة لدرجة لا تطاق؟ هذه هي الخلفية التي تدور حولها أحداث رواية ميريام تيفز الجريئة والمؤثرة، لكنها أيضا تنقسم بالسخرية والحس الفكاهي وهي تتحدث عن الحب، والفقد، والبقاء.

يولي وألف شقيقتان موهوبتان، مقربتان من بعضهما. ورغم الاختلافات الكبيرة بينهما، فإن هناك كثيرا من الأشياء المشتركة بينهما. «كل أحزاني الضئيلة» رواية تجمع بين الخيال، وعناصر من السيرة الذاتية للكاتبة. تروي يولي أحداث الحكاية عن شقيقتها، وأسرتها، ونشأتهما في بلدة كندية صغيرة بين أفراد الطائفة المينوناتية المتشددة.

ألف هي الشقيقة الكبرى، وهي عازفة بيانو محترفة تتمتع بالشهرة، والنجاح، والثروة، والجمال، وتحيا مع زوج محب مخلص لها. لكنها تعاني من اكتئاب مزمن، وبعد محاولة انتحار فاشلة أخرى، تدخل قسم الأمراض النفسية بالمستشفى.

يولي، الشقيقة الصغرى، كاتبة لها عدة كتب للناشئة، حققت نجاحا متوسطا، وتحاول تأليف كتاب أدبي عكفت عليه لعدة سنوات. تحيا يولي حياة فوضوية، ولديها اثنان من الأبناء في سن المراهقة من زيجتين فاشلتين، ولا تفتأ تدخل علاقة تلو الأخرى مع رجال غير ملائمين لها. تجد يولي نفسها في النهاية مسؤولة عن حياة شقيقتها، التي تتوسل إليها لمساعدتها على إنهاؤها.

ميريام تيفز كاتبة كندية، من أصول تنتمي إلى الطائفة المينوناتية، نشأت في شتاينباخ بمانيتوبا، وعاشت في مونترéal ولندن، قبل أن تستقر في وينيبج بمانيتوبا. ألفت تيفز عدة أعمال، كما عملت أيضا صحفية مستقلة، وفي الإذاعة. «كل أحزاني الضئيلة» هي أحدث رواياتها، صدرت عام 2014، وقد ترشحت وفازت بعدد من الجوائز، كما جرى تحويلها إلى فيلم صدر عام 2021 وفاز بعدة جوائز.

مكتبة

t.me/soramnqraa

